جمهورية العراق ديوان الوقف الشيعي

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالتراث الكربلائي

تصدر عن:
العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث كربلاء

مجازة من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة الثانية/ المجلّد الثاني/ العدد الأول
جمادى الأولى ١٤٣٦هـ / آذار ٢٠١٥م

العتبة العباسية المقدسة

تراث كربلاء: مجلة فصلية محكمة تعنى بالتراث الكربلائي= Karbala heritage: Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage / العتبة العباسية المقدسة. – كربلاء: الامانة العامة للعتبة العباسية المقدسة؛ ٢٠١٥.

مجلد: صور؛ ٢٤ سم

فصلية – العدد الاول السنة الثانية (٢٠١٥–)

ردمد: 2312-5489

ردمد الالكتروني: 2410-3292

الترقيم الدولي: 3297

المصادر.

النص باللغة العربية؛ مستخلصات بالعربية والانجليزية.

١.كربلاء (العراق) – تاريخ – دوريات ٢.الحسين بن علي (ع) الامام الثالث، ٤–٦١ هـ. – دوريات ٣.كربلاء (العراق) – تاريخ – تاريخ الغزوا الوهابي – دوريـات – ٤.كربلاء (العراق) – الأوضاع الإجتماعية دوريات. الف. العنوان. ب. العنوان: Karbala heritage Quarterly Authorized Journal Specialized in Karbala Heritage

A8 2015 .V2 DS79.9.K37

الفهرسة والتصنيف في العتبة العباسية المقدسة

ردمد: 2312-5489

ردمد الالكتروني: 2410-3292

الترقيم الدولي: 3297

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٩٩٢ لسنة ٢٠١٤م

كربلاء المقدسة – جمهورية العراق

Phone No: 310058

Mobile No: 07700479123

Web: http://karbalaheritage.alkafeel.net

E.mail: turath@alkafeel.net

+964 770 673 3834
+964 790 243 5559
+964 760 223 6329
www.DarAlkafeel.com

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

المطبعة: العراق ـ كربلاء المقدسة ـ الإبراهيمية ـ موقع السقاء ٢

الإدارة والتسويق: حي الحسين ـ مقابل مدرسة الشريف الرضي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
(القصص: ٥)
صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمْ

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصَّافي

الأمين العام للعتبة العبَّاسية المقدَّسة

رئيس التحرير

د. احسان علي سعيد الغريفي (دكتوراه في اللغة العربية من جامعة كراتشي)

مدير التحرير

أ. د. مشتاق عباس معن (كلية التربية/ ابن رشد/ جامعة بغداد)

الهيأة الإستشارية

أ. د. عباس رشيد الددة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل

أ. د. عبدالكريم عزّالدين الأعرجي/ كلية التربية للبنات/ جامعة بغداد

أ. د. علي كسار الغزالي/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

أ. د. عادل نذيربيري/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

أ. د. عادل محمد زيادة/ كلية الآثار/ جامعة القاهرة

أ. د. حسين حاتمي/ كلية الحقوق/ جامعة إسطنبول

أ. د. تقي عبدالرضا العبدواني/ كلية الخليج/ سلطنة عمان

أ. د. إسماعيل إبراهيم محمد الوزير/ كلية الشريعة والقانون/ جامعة صنعاء

سكرتير التحرير

حسن علي عبداللطيف المرسومي

(ماجستير من المعهد العراقي للدراسات العليا/ قسم الإقتصاد/ بغداد)

سكرتير التحرير التنفيذي:

علاء حسين أحمد (بكالوريوس تاريخ من جامعة كربلاء)

الهيأة التحريرية

أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي (كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

أ. م. د. ميثم مرتضى مصطفى نصرالله (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. م. د. عدي حاتم عبدالزهرة المفرجي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. م. د. محمد ناظم بهجت (كلية التربية للعلوم الصرفة/ جامعة كربلاء)

أ. م. د. زين العابدين موسى جعفر (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

أ. م. د. علي عبدالكريم آل رضا (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

م. د. غانم جويد عيدان (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

التدقيق اللغوي

أ. م. د. أمين عبيد الدليمي (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة بابل)

أ. م. د. فلاح رسول الحسيني (كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء)

الإدارة المالية

محمد فاضل حسن حمود (بكالوريوس علوم فيزياء من جامعة كربلاء)

الموقع الإلكتروني

محمد فاضل حسن حمود (بكالوريوس علوم فيزياء من جامعة كربلاء)

التصميم والإخراج الطباعي

محمد قاسم محمد علي عرفات

قواعد النشر في مجلة

تستقبل مجلة تراث كربلاء البحوث والدراسات الرصينة وفق القواعد الآتية:

١. يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٢. يقدم البحث مطبوعاً على ورق (A4) وبنسخ ثلاث مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠-١٠٠٠٠) كلمة بخط (simplified Arabic) على أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

٣. تقديم ملخّص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان واسم الباحث/ الباحثين، وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف أو المحمول، والبريد الالكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في صلب البحث أو أي إشارة إلى ذلك.

٥. يشار إلى المراجع والمصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمن: اسم الكتاب، اسم المؤلف، اسم الناشر، مكان النشر، رقم الطبعة، سنة النشر، رقم الصفحة، هذا عند ذكر المرجع أو المصدر أول مرة، ويذكر اسم

الكتاب، ورقم الصفحة عند تكرّر استعماله.

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلّة، ويشار في أسفل الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وأن يشير فيما إذا كان البحث قد قُدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث منشورًا وليس مقدّمًا إلى أيّة وسيلة نشر أخرى.

١٠. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١١. تخضع البحوث لتقويم علمي سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ. يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر خلال مدة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب. يخطر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ت. البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر.

ث. البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

ج. يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص.

ح. يمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية.

١٢. يراعى في أسبقية النشر:

- البحوث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.
- تاريخ تسليم رئيس التحرير للبحث.
- تاريخ تقديم البحوث كلما يتم تعديلها.
- تنويع مجالات البحوث كلما أمكن ذلك.

١٣. ترسل البحوث على البريد الألكتروني للمجلة (turath@alkafeel.net)، أو على موقع المجلة http: //karbalaheritage.alkafeel.net أو تُسَلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان التالي: (العراق/ كربلاء المقدسة/ حي الإصلاح/ خلف متنزه الحسين الكبير/ مجمَّع الكفيل الثقافي/ مركز تراث كربلاء).

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

No: الرقم :ب ث ٤ / ٩٨١٤
Date: التاريخ: ٢٠١٤/١٠/٢٧

" معا لمساندة قواتنا المسلحة الباسلة لدحر الارهاب"

العتبة العباسية المقدسة

م / مجلة تراث كربلاء

تحية طيبة..

استنادا الى الية اعتماد المجلات العلمية الصادرة عن مؤسسات الدولة ، وبناءاً على توافر شروط اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية في "**مجلة تراث كربلاء**"المختصة بالدراسات والابحاث الخاصة بمدينة كربلاء الصادرة عن عتبتكم المقدسة تقرر اعتمادها كمجلة علمية محكمة ومعتمدة للنشر العلمي والترقية العلمية .

...مع التقدير

أ.د. غسان حميد عبد المجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير وكالةً
٢٠١٤/١٠/

نسخة منه الى
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والنشر والترجمة
- الصادرة

www.rddiraq.com
Emailscientificdep@rddiraq.com

كلمة العدد الاول

إيقاد الشمعة الثاني

المشاريع الكبيرة تبدأ بخطوة متواضعة، وليس من المعيب أن تتأخر الامتيازات، وتصدر بعض التعثرات في المسير، لكن المعيب أنّ ينهي المُنْطَلِقُ بمشروعه الجديد انطلاقتَهُ مع أول تعثّر، أو شعور بخيبة أمل، فعليه أن يداوم في محاولته، ويصرّ على بلوغ هدفه، ومن دون المداومة والإصرار لا يتحقق الوصول.

هكذا يخاطب فريق الهيأتين التحريرية والاستشارية خطواتهم وهم يبدؤون سنتهم الثانية مع وليدهم الغضّ مجلة (تراث كربلاء) المحكّمة، فما زالت أمامهم عقبات جسام، تفترش طريقهم نحو تحقيق طموحهم بتأسيس مجلة رصينة ذات بُعد عالمي يقصدها عشّاق المعارف التراثية من كلّ حدب وصوب، لكنّ الطموح لوحده لا يكفي، فهو به حاجة لهمم عاليات، وذوات بدافعية بالغة.

ومن لطائف همم الهيأتين التحريرية والاستشارية هذا السِّفْر الجليل الذي حوى مجموعة طيبة من أبحاث الكتّاب الأكاديميين ودراساتهم، بحسب تخصّص أبواب المجلة الخمسة، مع لحاظ الاشتغال على الأبعاد الزمنية بمنظار (الذي مضى) ومزجه بمعطيات الحاضر، أو حتى استشراف المستقبل، كلّ ذلك التشابك الزمني محصور في دائرة مكان واحد هو (كربلاء).

وقد ضمّ هذا العدد أنظاراً منهجية متنوّعة بحسب طبيعة البحث المقدّم أو الدارسة، فهناك من الباحثين من اعتمد الوصف منهجًا لبلوغ هدفه البحثي، ومنهم من داخلت كتابتَه المنهجيةُ التجريبيةُ فنحى المنحى التطبيقي، ومنهم من مال إلى المنهج التاريخي مُسْتَنَدًا للكشف المعرفي، ومنهم من قارن في خطواته المنهجية بين موضوعتين تنتميان إلى حيزين متباينين لبلوغ ما يصبو إليه بحثه، ومنهم من جمع في أنظار منهجه بين أكثر من بُعد منهجي من المناهج المذكورة في الأسطر السابقة.

هذا العدد الأول من السنة الثانية جاء مزدانًا بكتابات الباحثين الأكاديميين، لكن عمر المجلة لا يكون مديدًا إلاّ باستمرار هذه الكتابات؛ لذا نأمل من الباحثين ولاسيما المعنيون بتراث كربلاء أن يرفدونا بجديد كتاباتهم من الأبحاث والدراسات.

كلمة الهيأتين الاستشارية والتحريرية

لماذا التراث؟ لماذا كربلاء؟

١. تكتنز السلالات البشرية جملةً من التراكمات المادية والمعنوية التي تشخص في سلوكياتها؛ بوصفها ثقافةً جمعيةً، يخضع لها حراك الفرد: قولاً، وفعلاً، وتفكيراً. تشكّل بمجموعها النظام الذي يقود حياتها، وعلى قدر فاعلية تلك التراكمات، وإمكاناتها التأثيرية؛ تتحدّد رقعتها المكانية، وامتداداتها الزمانية، ومن ذلك تأتي ثنائية: السعة والضيق، والطول والقصر، في دورة حياتها.

لذا يمكننا توصيف التراث، بحسب ما مر ذكره: بأنه التركة المادية والمعنوية لسلالة بشرية معينة، في زمان معين، في مكان معين. وبهذا الوصف يكون تراث أي سلالة:

- المنفذ الأهم لتعرف ثقافتها.
- المادة الأدق لتبيين تاريخها.
- الحفرية المثلى لكشف حضارتها.

وكلما كان المتتبع لتراث (سلالة بشرية مستهدفة) عارفاً بتفاصيل حمولتها؛ كان وعيه بمعطياتها، بمعنى: أنّ التعالق بين المعرفة بالتراث والوعي به تعالق طردي، يقوى الثاني بقوة الأول، ويضعف بضعفه، ومن هنا يمكننا تعرّف الانحرافات التي تولدت في كتابات بعض المستشرقين وسواهم ممّن تَقَصّدَ

دراسة تراث الشرق ولا سيما المسلمين منهم، فمرة تولّد الانحراف لضعف المعرفة بتفاصيل كنوز لسلالة الشرقيين، ومرة تولّد بإضعاف المعرفة؛ بإخفاء دليل، أو تحريف قراءته، أو تأويله.

٢. كربلاء: لا تمثل رقعة جغرافية تحيّز بحدود مكانية مادية فحسب، بل هي كنوز مادية ومعنوية تشكّل بذاتها تراثاً لسلالة بعينها، وتتشكّل مع مجاوراتها التراث الأكبر لسلالة أوسع تنتمي إليها؛ أي: العراق، والشرق، وبهذا التراتب تتضاعف مستويات الحيف التي وقعت عليها: فمرة؛ لأنّها كربلاء بما تحويه من مكتنزات متناسلة على مدى التاريخ، ومرة؛لأنها كربلاء الجزء الذي ينتمي إلى العراق بما يعتريه من صراعات،ومرة؛لأنها الجزء الذي ينتمي إلى الشرق بما ينطوي عليه من استهدافات، فكل مستوى من هذه المستويات أضفى طبقة من الحيف على تراثها، حتى غُيِّبت وغُيِّب تراثها، واخُزلت بتوصيفات لا تمثل من واقعها إلا المقتطع أو المنحرف أو المنزوع عن سياقه.

٣. وبناءً على ما سبق بيانه، تصدى مركز تراث كربلاء التابع للعتبة العباسية المقدسة إلى تأسيس مجلة علمية متخصصة بتراث كربلاء؛ لتحمل هموماً متنوعة، تسعى إلى:

- تخصيص منظار الباحثين بكنوز التراث الراكز في كربلاء بأبعادها الثلاثة: المدنية، والجزء من العراق، والجزء من الشرق.
- مراقبة التحولات والتبدلات والإضافات التي رشحت عن ثنائية الضيق والسعة في حيزها الجغرافي على مدى التاريخ، ومديات تعالقها مع مجاوراتها، وانعكاس ذلك التعالق سلباً أو إيجاباً على حركيتها؛ ثقافياً ومعرفياً.

- اجراء النظر إلى مكتنزاتها: المادية والمعنوية، وسلكها في مواقعها التي تستحقها؛ بالدليل.
- تعريف المجتمع الثقافي: المحلي، والإقليمي، والعالمي: بمدخرات تراث كربلاء، وتقديمه بالهيأة التي هو عليها واقعاً.
- تعزيز ثقة المنتمين إلى سلالة ذلك التراث بأنفسهم؛ في ظل افتقادهم إلى الوازع المعنوي، واعتقادهم بالمركزية الغربية؛ مما يسجل هذا السعي مسؤولية شرعية وقانونية.
- التوعية التراثية وتعميق الالتحام بتركة السابقين؛ مما يؤشر ديمومة النماء في مسيرة الخلف؛ بالوعي بما مضى لاستشراف ما يأتي.
- التنمية بأبعادها المتنوعة : الفكرية، والاقتصادية، وما إلى ذلك، فالكشف عن التراث يعزز السياحة، ويقوي العائدات الخضراء.

فكانت من ذلك كله مجلة "تراث كربلاء" التي تدعو الباحثين المختصين إلى رفدها بكتاباتهم التي بها ستكون.

المحتويات

ص	عنوان البحث	اسم الباحث
	بَابُ التُّرَاثِ المُجْتَمَعِيِّ	
٢٧	حمَّامات السوق الكربلائية في العصر العثماني وأثرها على الحياة الاجتماعية (دراسة آثارية حضارية)	أ. د. عادل محمد زيادة البهي جامعة القاهرة كلية الآثار
١٠٥	أحلام اليقظة وعلاقتها بموقع الضبط لدى طالبات المرحلة الإعدادية في كربلاء المقدسة	م. د. علي عبد الكريم مها عطاالله عريبي جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم العلوم التربوية والنفسية
	بَابُ التُّرَاثِ التَّارِيْخِيِّ	
١٥٩	الغزو الوهابي لمدينة كربلاء المقدسة في مطلع القرن التاسع عشر (دراسة تاريخية-تحليلية)	أ. م. د. مقدام عبدالحسن باقر الفياض جامعة الكوفة كلية التربية للبنات قسم التاريخ
٢٢٥	الجمعية الإسلامية في كربلاء ١٩١٨-١٩٢٠ (دارسة تاريخية)	أ. م.د .عدي حاتم عبدالزهرة المفرجي أ. م. د. نعيم عبد جودة الشيباوي جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ
	بَابُ التُّرَاثِ الْأَدَبِيِّ	
٢٧١	وظائف مراثي الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي للحقبة (١٩٠٠-١٩٥٠)	م. د .علي حسين يوسف الكلية التربوية المفتوحة في كربلاء

٣٢٩	أثر استراتيجية (TWA) في اكتساب المفاهيم البلاغية عند طلاب الصف الخامس الادبي في كربلاء المقدسة	أ. م. د. أوراس هاشم الجبوري م. د. عدي عبيدان الجراح جامعة كربلاء كلية التربية للعلوم الانسانية قسم العلوم التربوية والنفسية

بَابُ التُّرَاثِ الْفَنِيِّ والْجَمَالِيِّ

٣٩٣	الوحدات الهندسية المنفذة على العناصر العمارية للعتبة الحسينية المقدسة	أ. م. د. محمد علي علوان م. م. مها فؤاد محمد الطائي جامعة بابل كلية الفنون الجميلة قسم الفنون التشكيلية
٤٦٩	جماليات التذهيب في المخطوطات القرآنية في العتبات المقدسة في كربلاء	أ. م. د. شوقي مصطفى الموسوي جامعة بابل كلية الفنون الجميلة م. م. سامرة فاضل الفتلاوي ماجستير فنون تشكيلية من كلية الفنون الجميلة بجامعة بابل

بَابُ التُّرَاثِ الْعِلْمِيِّ

٥١١	التلوث بالمثقوبات البولية (دراسة بايولوجية في محافظة كربلاء المقدسة)	م. د. سليم مرزة هادي الخفاجي جامعة كربلاء كلية الطب البيطري فرع الأمراض
25	A programme developed for Solid Waste management at construction sites in and around Karbala city center	A. Prof. Naaim Mohammed Ali Al-Ansari Karbala University College of Pharmacy Department of Pharmaceutical Chemistry

باب
التراث المجتمعي
Society Heritage Section

حمَّامات السوق الكربلائية في العصر العثماني
وأثرها على الحياة الاجتماعية
(دراسة آثارية حضارية)

Karbala Souk Baths in the Ottomans Period and their Impact on the Social Life: An Archeolegical and cultural Study

أ. د. عادل محمد زيادة البهي

جامعة القاهرة

كلية الآثار

Prof. Dr. Adil Muhammad Ziyada Al–Bahy

Cairo University

College of Archeology

الملخّص

ورثت الحضارة الإسلامية الحمَّامات التقليدية أوحمَّامات السوق ضمن ما ورثته عن الحضارات السابقة لها، وانتشرت الحمَّامات في مدن العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، وحَتَّمت ضروريات الحياة على المسلمين في مجتمعاتهم بصفة عامة أن يقتبسوا فكرة الحمَّام البيزنطي – الروماني وجعلوا منه مرفقاً عاماً شعبياً بالمعنى الصحيح. ومع مرور الزمن وتَطَوُّر العمائر المدنية أصبح الناسُ كافة يمتلكون حمامات داخل بيوتهم، ومن هنا بدأ الاستغناء عن ارتياد الحمَّامات العامة مما عرضها في معظم المدن الإسلامية ومنها كربلاء للتخريب والاندثار، فبعد أن كانت تُحْصَى بعدة آلاف في بعض المدن كبغداد والقاهرة ودمشق وغيرها، أصبحنا لا نرى إلا القليل منها في حالة متردية أوفي انتظار المصير المحتوم وهو الهدم أو التبديد.

وكانت حمَّامات السوق تهدف –منذ نشأتها– إلى خدمة المجتمع في مختلف المجالات، ولذلك وقع اختياري على تقديم دراسة مبسطة ومحددة حول هذا النوع من العمارة الاجتماعية التي تميزت بكثرتها وانتشارها الواسع في المدن الإسلامية لتقديم خدمات مطلوبة ومُلِحَّة في المجتمع الإسلامي، وأقصد بتلك العمائر حمَّامات السوق، وأما عن خدماتها الضرورية للمجتمع فتتلخص في الحفاظ على النظافة والطهارة التي تُعِين على أداء الواجبات والفروض المنوطة

بكل فئات المجتمع الإسلامي، فضلاً عما تمخضت عنه من عادات وتقاليد انتشرت في كل مجتمعات المدن الإسلامية بداية من الأسلوب المعماري الإسلامي الذي تميزت به الحمَّامات وحتى حفلات الزواج والختان وغيرها من العادات والتقاليد التي أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوجودها في المدن الإسلامية.

وعلى اعتبار أن مدينة كربلاء من أهم مدن العراق وأقدمها، فقد شهدت أيضاً تشييد العديد من حمَّامات السوق على مدار العصر الإسلامي والتي لم تختلف في تخطيطها وعناصرها المعمارية والفنية عن مثيلاتها في بقية المدن الإسلامية، ولكن من سوء الطالع فَقَدَت كربلاء العدد الأكبر من هذه الحمَّامات ولم يتبق منها إلا النزر اليسير، وقد ساعد على ذلك انصراف أفراد المجتمع الكربلائي عن استخدام هذه الحمَّامات عندما تضمنت منازلهم حمَّامات خاصة، إلى جانب إزالة الكثير منها لأسباب عمرانية أخرى افتقد منفذوها الكثير من الوعي بقيمة التراث المعماري الإسلامي، وقد تسبب ذلك في تناقص أعدادها بشكل ملحوظ.

وستتناول الدراسة أهمية البحث في هذا الموضوع، والوصف المعماري لحمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء ومميزاتها المعمارية كتراث معماري، وأصول نشأتها في الحضارة الإغريقية والرومانية وكيفية اقتباس المسلمين لفكرتها وإعمال الفكر المعماري الإسلامي في تشييدها بما يتلاءم مع الذوق والفن الإسلامي، ثم تتناول الدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية المتمثلة في حفلات العرس والختان والمناسبات الأخرى المتعلقة بالحمَّامات.

والله من وراء القصد...

Abstract

The Islamic culture inherited the traditional baths or souk baths as part of what is inherited from the previous cultures. The baths spread all over the Islamic world cities, east and west. Life necessities forced the Muslims in their societies in general to grasp the idea of the Beezentik-Roman bath and they made it a public utility in the strict sense of the word. All through time and with the development of the civil structures people started to possess baths inside their houses. As a consequence, people started to desert public baths, which led to their being destructed and exterminated in most Islamic cities such as Karbala. After their number being thousands in some cities such as Baghdad, Cairo, Damascuss and others, but nowadays we can notice very few of them and in a bad condition or in their way to the inevitable fate which is destruction or removal.

From their start, the souk baths aimed at serving the society in all respects. This is why I have decided to present a simple

and specified study on such type of the social architecture which is widely spread in the Islamic cities to provide wanted and urgent need in the Islamic society. By structures I mean souk baths and as for their necessary services for the society, they may be summarized by keeping cleanness and purity which help perform the duties and rituals required from all people of the Islamic society in addition to what has resulted from it like traditions and customs which spread among all the communities of the Islamic cities starting from the Islamic architectic design characterizing the baths to the marriage and circumcision ceremonies and other traditions and customs which have been completely considered part of Islamic cities.

Due to the fact that Karbala province is considered the most important and ancient of the Iraqi cities it has also witnessed the building of a great

number of the souk baths all through the Islamic period which have never been different, in their designing and architectic and artistic element from those found in the other Islamic cities. But unfortunately, Karbala lost a great number of such baths and it kept very few of them. What has contributed to that is the fact that the people of Karbala have

deserted those baths as their houses have had private baths in addition to the removal of most of them for the purpose of architectic reasons whose performers lacked any knowledge of the value and importance of the Islamic architectic heritage. This caused a noticeable decrease in their number.

This study is going to show the importance of dealing with this subject and also the architectic description of the souk baths still found in Karbala together with their architectic characteristics as an architectic heritage in addition to their origins in the Greek and Roman cultures and how Muslims adopted their idea and the contribution of the Islamic architectic thinking to it in constructing it in accordance with the Islamic taste and art. The study will then deal with the social traditions and customs represented by the marriage and circumcision ceremonies and the other occasions related to the baths.

مقدمة

قامت على أيدي الملوك والأمـراء بالمدن الإسلامية، وكذلك على أيدي الأعيان والعلماء والتجار العديد من المنشآت المعمارية التي كانت تهدف إلى خدمة المجتمع في مختلف المجالات، وتنوعت تلك المنشآت فكان منها العمائر الدينية كالمساجد والجوامع والزوايا والمدارس وغيرها، ومنها العمائر التي اختصت بتقديم الرعاية الاجتماعية كالبيمارستانات والأسبلة والحمَّامات.

وقد وقع اختياري على تقديم دراسة مبسطة ومحددة حول نوع من العمائر الاجتماعية التي تميزت بكثرتها وانتشارها الواسع في المدن الإسلامية لتقديم أهم الخدمات المطلوبة والمُلِحَّة في المجتمع الإسلامي، وأقصد بتلك العمائر حمَّامات السوق، وأما عن خدماتها الضرورية للمجتمع فتتلخص في الحفاظ على النظافة والطهارة التي تُعِين على أداء الواجبات والفروض المنوطة بكل فئات المجتمع الإسلامي، فضلاً عما تمخضت عنه تلك العمائر من عادات وتقاليد انتشرت في كل مجتمعات المدن الإسلامية والتي تندرج بالفعل تحت مفهوم الفنون الشعبية في المجتمع الإسلامي بداية من الأسلوب المعماري الإسلامي الذي تميزت به الحمَّامات وحتى حفلات الزواج والختان وغيرها من العادات والتقاليد التي أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بوجودها في المدن الإسلامية.

وعلى اعتبار أن مدينة كربلاء من أهم مدن العراق وأقدمها، فقد شهدت أيضاً

تشييد العديد من حمَّامات السوق على مدار العصر الإسلامي والتي لم تختلف في تخطيطها وعناصرها المعمارية والفنية عن مثيلاتها في بقية المدن الإسلامية، ولكن من سوء الطالع فَقَدَت كربلاء العدد الأكبر من هذه الحمَّامات ولم يتبقّ منها إلا النزر اليسير، مثلها في ذلك مثل بعض المدن الإسلامية، وقد ساعد على ذلك انصراف أفراد المجتمعات الإسلامية عن استخدام هذه الحمَّامات عندما تضمنت منازلهم حمَّامات خاصة، إلى جانب إزالة الكثير منها لأسباب عمرانية أخرى افتقد منفذوها الكثير من الوعي بقيمة التراث المعماري الإسلامي، وقد تسبب ذلك في تناقص أعدادها بشكل ملحوظ.

وستتناول الدراسة أهمية البحث في هذا الموضوع، وكذلك تناول الوصف المعماري لحمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء ومميزاتها المعمارية كتراث معماري شعبي، نبدأها بتعريف الحمام لغوياً ثم الأصول الأولى لنشأته عند الإغريق والرومان وكيفية اقتباس المسلمين لفكرته وإعمال الفكر المعماري الإسلامي في تشييده بما يتلاءم مع الذوق والفن الإسلامي، ثم تتناول الدراسة العادات والتقاليد الاجتماعية المتمثلة في حفلات العرس والختان والمناسبات الأخرى المتعلقة بالحمَّامات. ولذلك قسمت الدراسة بعد المقدمة وأهمية الموضوع إلى مبحثين رئيسين الأول بعنوان: فكرة الحمَّامات العامة وتاريخ عمارتها قبل وخلال العصر الإسلامي، تناولت فيه التعريف بالحمَّام لغوياً، ونشأة عمارة الحمَّامات قبل الإسلام وطراز تخطيطها، ثم ضرورة وجود الحمَّامات في المدن الإسلامية وكيفية اقتباس فكرتها من الحضارات السابقة وأسلوب تخطيطها حسب الفكر المعماري الإسلامي. والمبحث الثاني بعنوان: الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء ودورها

الاجتماعي، ويتناول هذا المبحث التعريف بأقسام الحمَّام تتعرض بعدها الدراسة للمجتمع الإسلامي وضرورة وأهمية الحمَّامات لديه كضرورة اجتماعية لا غنى عنها، ثم دور المحتسب كسلطة إدارية تنفيذية في تنظيم العمل داخل الحمَّامات وخضوعها لإشرافه خضوعاً تاماً، بعده تتعرض الدراسة لتناول الحمَّامات الباقية في كربلاء دراسة وصفية تحليلية مع ذكر أثرها على الحياة الاجتماعية في كربلاء، وتأتي الخاتمة في نهاية الدراسة بأهم النتائج.

أهمية الدراسة

في الواقع أن هذا الموضوع كان في حاجة إلى دراسة علمية متكاملة ومستوفاة، ولكني هدفت فقط إلى أن يكون هذا البحث خطوة لتأصيل قيم مجتمعنا الإسلامي وإلقاء الضوء على جذور هذه القيم وذلك بإبراز الدور الحضاري لهذه العمائر الباقية من حمَّامات كربلاء والتعرف على أصولها وتطورها ودورها في المجتمع الكربلائي، وما كانت تؤديه من خدمات اجتماعية وصحية، خاصة وأن المكتبة الأثرية تفتقر إلى مثل هذه الدراسة عن حمَّامات السوق بمدينة كربلاء.

المبحث الأول

فكرة الحمَّامات العامة وتاريخ عمارتها قبل وخلال العصر الإسلامي

أولاً: تعريف الحمَّام

الحمَّام –مشدداً– هومفرد الحمَّامات؛ وهي بيوت الاستحمام المعروفة، وهومذكر وليس مؤنثاً كما جاء في التهذيب عن أهل اللسان لأنه من الحميم وهوالماء الحار[١]، والحميمة هوالماء الذي يُسخَّن، فيقال أحموا الماء أي أسخنوه، وأيضاً حَمَّمت الماء أي سخنته، وكل ما سُخِّن فقد حُمِّم. وقال ابن بَرِّيّ: وقد جاء الحمَّام مؤنثاً، بينما قال ابن سِيدَهْ: والحمَّام الديماس مشتق من الحميم مذكر تذكِّره العرب والجمع حمَّامات. واستَحَمَّ إذا اغتسل بالماء الحميم، وأحَمَّ نفسه إذا غسلها بالماء الحار، والاستحمام هوالاغتسال بالماء الحار[٢].

هذا وقد ورد لفظ الحمَّام بصيغة المؤنث في النص التأسيسي لحمَّام بشتاك في القاهرة حيث ورد بالنص التأسيسي لهذا الحمَّام بصيغة «هذه الحمام المباركة»، وقد ورد أيضاً بصيغة المذكر وذلك في النص التأسيسي لحمَّام السلطان إينال في القاهرة أيضاً حيث جاء فيه «هذا الحمام المبارك»[٣]، وبالإضافة إلى ذلك فقد ورد في وثائق العصر المملوكي مؤنثاً[٤].

ويذكر الإمام المُناوي أن أول من وضع الحَمَّام الجن حيث اتخذوه لسليمان عليه السلام حين تزوج بلقيس فوجد في ساقيها خموشة[٥] فسألهم عما يزيلها فبنوه له واتخذوا له النورة[٦]، ودليل ذلك ما رواه البخاري في تاريخه عن أبي موسى الأشعري أن أول من دخل الحَمَّامات وصُنعت له النورة سليمان بن داود فلما دخله وجد حَرَّه وغَمَّه فقال: «أواه من عذاب الله أواه»[٧].

ثانياً: نشأة حَمَّامات السُّوق وأصولها التاريخية

وُلدت فكرة بناء الحَمَّامات العامة التي عُرفت كمنشآت معمارية تقوم بدور كبير -إلى جانب دورها في النظافة والطهارة- في تقديم الرعاية الاجتماعية في كثير من المجتمعات على مرِّ العصور المختلفة بسبب ما أوجبته العقائد الدينية وطقوسها منذ القدم في استخدام الماء للنظافة والطهارة[٨].

وقد يكون من الصعب تحديد الوقت الذي عُرفت فيه الحَمَّامات كمنشآت معمارية عامة عند الإغريق فعلى الرغم من أن (هوميروس) شاعر اليونان هو أول من تحدث عن أهمية الحَمَّامات الساخنة واعتبرها خطوة من خطوات العلاج الطبيعي واسترداد الصحة والحيوية، إلا أن الحَمَّامات التي أشار إليها كانت حَمَّامات خاصة، وغلب على الإغريق استعمال الماء البارد في الاستحمام، فضلاً عن استعمالهم الماء الساخن الذي كانوا يعتبرونه نوعاً من الرفاهية[٩]. ويُستدل على وجود الحَمَّامات من خلال بعض المناظر والرسوم المسجلة على الأواني والزهريات التي ترجع إلى الفن الإغريقي والتي أمدتنا بتسجيل لمراحل تطور الحَمَّامات العامة ووسائل الاستحمام -في تلك الفترة- على أن أصل الحَمَّامات

العامة يرجع إلى بلاد اليونان[١٠]، وربما كانت تلك الحمَّامات التي سجلتها رسوم هذه الفترة حمَّامات ذات مياه باردة حيث لا يوجد ما يُستدل من خلالها على أنها قد خضعت لإحدى طرق التسخين، وربما كانت بذلك خطوة أولى نحو خطوات تطور الحمَّام. وكان انتشار الحمَّامات العامة عند الإغريق أمراً طبيعياً في مجتمع قليل الماء لا يعرف نظام إمداد المباني بالمياه عن طريق الأنابيب[١١].

وقد عرف قدماء اليونانيين حمَّامات البخار الساخن منذ القرن الخامس قبل الميلاد حيث أصبحت بديلة عن الميادين الرياضية[١٢]، وكان يُطلق عليها (Tholos) وتعني الحجرة الساخنة، وكان هذا النوع من الحمَّامات عبارة عن مبنى دائري تعلوه قبة ضخمة بها صرة برونزية بالوسط ذات سلسلة تُرفع وتُسدل إذا ما أريد تقليل درجة الحرارة أوزيادتها بالإضافة إلى فائدتها المعمارية حيث كانت تعمل على تخفيف الثقل عن القبة الضخمة[١٣]. وكانت أرضيته مفروشة بالفسيفساء ذات الرسوم المختلفة متعددة الألوان، وكانت الحرارة تُوَّلد به في البداية عن طريق تسخين أحجار صغيرة تُرش بالماء البارد فيتصاعد منها البخار، إلى أن ابتُكرت غرف التسخين السفلية المعروفة باسم «الهيبوكاوست» (Hepocawest) والتي يرجع الفضل في ابتكارها أيضاً إلى اليونانيين القدماء، تلك الطريقة التي ظل يعمل بها الحمَّام بعد ذلك حتى القرون الأولى في العصر الإسلامي، وتتلخص في تسخين الأرضيات عن طريق غرف التسخين بأسفل حجرات الحمَّام[١٤]. ثم حدث تطور آخر في نظام التسخين عندما ابتكر الإغريق أيضاً نظاماً ساد فيما بعد عند الرومان وهوما يُطلق عليه اسم (سسبنسورا – Suspensurae) ويعتمد هذا النظام على الجدران المزدوجة المبنية من نوع

خاص من القرميد المفرغ (المفتوح الجوانب) والتي ينبعث منها الهواء الساخن داخل حجرات الحمَّام[١٥].

وعندما ورث الرومان الحمَّام الإغريقي كمنشأة عامة أخذوا في تطويره وزيادة ملحقاته، وتعود أولى الحمَّامات الرومانية إلى القرن الثاني قبل الميلاد واستمرت في تطورها حتى وصلت أوج ازدهارها في القرنين الثالث والرابع الميلاديين[١٦]. وقد تفنن الرومان في بنائها بشكل كبير لم يجارِهم فيه أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين حيث أُضيف إليها مبنىً جديدٌ يفوقها حجماً، وزُوِّدت بأحواض الماء البارد والفاتر والساخن، كما أُضيف إليها غرف لتغيير الملابس بالإضافة إلى الملاعب الرياضية المغلقة وقاعات المحاضرات العامة[١٧].

وجدير بالذكر أن الحمَّامات في المدن الإسلامية كانت من بين المنشآت المعمارية التي تعددت الآراء بشأن أصلها[١٨]. فيرى البعض أن الحمَّام في المدينة الإسلامية هونفسه الحمَّام اليوناني القديم[١٩]، بينما يعتقد البعض الآخر أن الحمَّام الإسلامي لا يمكن أن يكون وريث الحمَّام اليوناني[٢٠]، ورأى فريق ثالث أن الحمَّامات الإسلامية مقتبسة من الحمَّامات الرومانية التي كان لها تأثيرٌ مباشرٌ عليها، وربما اشتُقت أيضاً من الحمَّامات البيزنطية أوالسورية التي ترجع إلى القرون الأولى للميلاد[٢١].

ثالثاً: تخطيط حمَّامات السوق قبل العصر الإسلامي

خضع الحمَّام الروماني إلى تخطيط ثابت يتكوَّن من ثلاثة أقسام رئيسية عبارة عن ثلاث قاعات متتالية تبدأ بالقاعة الباردة (Frigidarium) وهي عبارة

عن فناء كبير أُلحقت به أبنية من ثلاث جهات لغرف خلع الملابس والتدليك وغيرها، ويتوسطه حوض كبير للمياه الباردة مخصص للسباحة إلى جانب أحواض صغيرة للاغتسال، يلي القاعة الباردة، القاعة الثانية وهي الدافئة حيث درجة حرارة متوسطة بين البارد والساخن (Tepidarium) وهي على هيأة بهوكبير يمثل مركز الحمَّام، وقد أُعدت هذه القاعة للإقامة والتسلية والمناقشات والاستراحة لأوقات طويلة، وتشتمل على أحواض مياه دافئة تساعد على تدرج حرارة الجسم للوصول إلى المياه الساخنة بعد ذلك، ويُسقِّف هذه القاعة عدد من الأقبية المتقاطعة. وتعتبر القاعة الثالثة وهي الساخنة (Caldarium) أهم أجزاء الحمَّام، وهي قاعة مستديرة تشتمل على حوض للمياه الساخنة، وتغطيها قبة ضخمة، وأُنشئت بأسفل أرضية هذه القاعة غرف التسخين وممراتها التي صُمِّمت بشكل منحدر للداخل حتى يتسنى للتيارات الهوائية الساخنة أن تسري بداخلها[٢٢].

وبالإضافة إلى هذه القاعات الثلاث أنشأ المعمار عن يمينها ويسارها غرفاً كثيرة لخلع الملابس والألعاب الرياضية إلى جانب قاعات للقراءة والاستراحة وغير ذلك من وسائل رياضة الفكر والجسم، وزيادة في الفخامة استعمل الفنان الروماني أنفس أنواع الرخام الملون والمرمر المعرَّق والجرانيت والفسيفساء اللامعة في تغشية الجدران[٢٣].

رابعاً: المدن الإسلامية وضرورة تشييد الحمَّامات

ورثت الحضارة الإسلامية الحمَّامات العامة ضمن ما ورثته من منجزات

الحضارات السابقة لها فقد انتشرت الحمَّامات في مدن العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. وهي كمنشآت اجتماعية تعتبر دخيلة على العمارة الإسلامية، إذ أن العرب المسلمين الأوائل لم يألفوا استعمال الماء الغزير لا قبل الإسلام ولا في صدره[٢٤]. ولكن ضروريات حياتهم جعلتهم يقتبسون فكرة الحمَّام العام البيزنطي – الروماني ويضعونه في مكانة لم يحتلها من قبل في المدن الرومانية نفسها، وجعلوا منه مرفقاً عاماً شعبياً بالمعنى الصحيح، ذلك أن المدن الرومانية لم تعرف –حتى في أوج ازدهارها– ذلك العدد الهائل من الحمَّامات التي غصَّت بها المدن الإسلامية، ويرجع ذلك بدون شك لاختلاف الدَوْر الذي لعبته تلك الحمَّامات في كل من المدن الرومانية والمدن الإسلامية، فقد كانت في الأولى للأثرياء والرياضيين ونخبة من المجتمع، كما كان الغرض منها اللهووالترفيه والمتعة، أما في الثانية فقد كانت للناس كافة من أجل أداء حاجة ضرورية أوالقيام بواجب مفروض وأصبح كل ما يدور حولها من خدمات وعادات وحكايات أسطورية لم يكن إلا نتيجة لارتباطها بكل طبقات المجتمع بشكل دائم وفي مناسبات كثيرة[٢٥].

وقد كَثُر إنشاء الحمَّامات العامة في المدن الإسلامية، ويرجع ذلك لارتباطها بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر، ولعدم مقدرة العامة على تضمين منازلهم حمَّامات خاصة، وارتبطت كذلك برغبة القادرين على إنشاء هذه الحمَّامات في استثمار أموالهم في إنشائها لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها هذا إلى

جانب الاهتمام بتشييدها كأوقاف على أعمال الخير والبر[٢٦].

١. تطور تخطيط الحمَّامات في المدن الإسلامية

أُقيمت الحمَّامات في المدن الإسلامية بصفة عامة لخدمة كافة سكانها، لذلك كثر إنشاؤها لتلبية حاجات وظيفية، مما دفع سلطات المدينة أن تنظم إنشاءها وما يتصل بتزويدها بمصادر المياه وقنوات الصرف، وما يصدر عن بنائها من دخان تحكَّم أحياناً في تحديد مواضعها وأيضاً وحداتها[٢٧].

طوَّر المسلمون تخطيط وعمارة الحمَّامات بما يتوافق مع طبيعة مناخ بلادهم ومدنهم وبما يتوافق أيضاً مع عاداتهم وتقاليدهم، لذلك عَرَفَت الحمَّامات في المدن الإسلامية مُخَطَّطَيْن اثنين من حيث الشكل، ظل المسلمون يستعملونهما منذ بداية العصر الإسلامي حتى نهاية حكم الدولة العثمانية: أولهما متأثر بالتخطيط البيزنطي وهوالتخطيط الذي احتلت فيه القاعة الدافئة المكانة الأولى بين بقية القاعات، وهوالتخطيط الذي اتبعته الحمَّامات العثمانية في مدينة كربلاء، أما المخطط الثاني فقد كان طولياً تصطف فيه قاعات مستطيلة بطريقة طولية متتالية، تحتل فيه القاعة الأولى (الباردة) بدل الدافئة مركز الصدارة[٢٨].

وإذا كانت تعاليم الإسلام قد غيَّرت إلى حد ما في عمارة الحمَّام المتوارث من الحضارات السابقة، فإنها في الوقت ذاته قد حافظت بلا شك على التصميم والهيكل المعماري له، ولم يُتناول في هذا التعديل سوى الزخارف والصور وكذلك النسب بين القاعات، وذلك نظراً لغياب استعمالات وبروز أخرى، وأيضاً زوال عادات وظهور غيرها وكذلك التغير الذي طرأ على المجتمع الإسلامي خلال

العصور المختلفة[٢٩].

ويُعَدُّ تخطيط حمَّام سرجلا[٣٠] (شكل رقم ٣٠) أول نموذج حقيقي لتخطيط الحمَّامات الشرقية، واعتُبر هذا الحمَّام أول مرحلة من مراحل التطور من التخطيط الروماني إلى مرحلة أكثر شرقية تتماشى مع الشرق وطبيعته، وهويمثل مرحلة انتقالية إلى تخطيط الحمَّام في العصر الإسلامي بصفة عامة، ولذلك اشتمل الحمَّام لأول مرة على ثلاثة أقسام متجاورة تبدأ بقاعة خلع الملابس (المنزع اوالمخلع) ويليها القسم الثاني وهوالدافئ وهوعبارة عن قاعة أُعدت بحيث تكون تمهيداً لدخول القسم الثالث والذي تمثله القاعة الساخنة وهي أهم أقسام الحمَّام[٣١].

٢. تطبيق الفكر الإسلامي في تخطيط الحمَّامات

إِلْتَزَم الفكر الإسلامي منذ بداية بناء الحمَّامات بمنهج يُجسِّد حرص الشريعة الإسلامية على ما ينفع الناس في حياتهم ويحفظ أبدانهم، ومن هنا قامت تصميمات الحمَّامات في العصر الإسلامي على عدة أسس، من أهمها: أن يشتمل الحمَّام على هواء وماء حارين[٣٢]، وأن يتوفر لمن بداخله فرصة جيدة للتنفس الصحيح فلا يحدث غَشَيَانٌ أوإغْمَاء[٣٣]، ورُوعِيَ أيضاً ألاَّ يتسرَّب إلى داخل الحمَّام أي دُخَان من الذي يصدر عن المستوقد الملحق بالحمَّام[٣٤] حتى لا تنتج عن ذلك رائحة كريهة. وحرص المعمار على ألا تُعَرَّض الوحدات الداخلية للحمَّام لتيارات هوائية حتى لا تكون لها تأثيرات سلبية على رواده[٣٥]. كما كان هناك اهتمام بتوفير المُقَوِّمَات الجمالية التي تبعث الراحة النفسية لمرتادي الحمَّام في كل الوحدات. وأخيراً عمل المعمار على تحقيق الخصوصية لبعض الفئات من أصحاب الحالات الخاصة من

المرضى والمعوِّقين أوالعجزة.

جَسَّد المعمار هذه الأمور في تخطيط الحمَّامات خلال العصر الإسلامي بصفة عامة، وعلى ما تقدم نرى أنها قد تضمَّنَت الاعتبارات الإنسانية مادية كانت أم نفسية، كما تَضَمَّنَت أيضاً ما هومرتبط بالعقيدة الإسلامية كالطهارة[٣٦]، وتماشى ذلك كله مع الذوق الشعبي الذي يمثل القاعدة العريضة في المجتمع الإسلامي.

وقد حَدَّدت الأسس أوالشروط المشار إليها مجتمعة ضوابط المسقط الأفقي للحمَّام وترتيب وحداته وعناصره ترتيباً مُعيناً بحيث أصبح ابتكاراً إسلامياً خالصاً. فمن المعروف أن اختيار شكل المسقط الأفقي لأي حيِّز يرتبط بوظيفة هذا الحيِّز ومدى قدرة هذا التخطيط على التلاؤم مع وظيفته.

وتتمثل وظيفة الحيز في الحمَّام في توفير مكان لرواده يخلعون فيه ملابسهم ويأخذون فيه قسطاً من الراحة قبل خروجهم منه لتفادي التعرض لتيار هوائي مفاجئ، وقد عُرف هذا المكان بوظيفته الأولى فسُمي «المنزع اوالمخلع» أو«بيت أول» وأُطلق عليه في بعض المدن «البَرَّانِيّ» لكونه خارج نطاق الأقسام الحقيقية للحمَّام، ثم تليه قاعتان أوثلاثة خاصة بالاستحمام تتدرج في حرارتها من المستوى العادي إلى المستوى الدافئ ثم المستوى الساخن في ترتيب مكاني ثابت. وفي هذه القاعات تتم عملية الاستحمام وما يصاحبها من تطهر واغتسال، وأيضاً ما يتبعها من عمليات إزالة الشعر والتجميل والتزين[٣٧]، وقد حرص مشيدوالحمَّامات في كربلاء على اتباع هذا التصميم كبقية المدن الإسلامية.

المبحث الثاني

الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء وتأثيراتها الاجتماعية

أولاً: أقسام الحمَّام الكربلائي في العصر العثماني

تَمَيَّزت حمَّامات السوق الكربلائية في العصر العثماني بتخطيط مستوحى من فكر الفن الشعبي الإسلامي الذي كان سائداً في مدن العالم الإسلامي، ولِمَ لا فقد أُسست الحمَّامات في المقام الأول لخدمة تلك الطبقة الشعبية التي تمثل القاعدة العريضة في المجتمع الكربلائي ولذلك نجد عمارة الحمَّامات قد تميزت بالبساطة وعدم الإسراف عكس ما نجد عليه الحال في المشيدات المعمارية الأخرى مدنية كانت أم دينية، ومن ثم لم يخرج تخطيطه عن ثلاثة أقسام تتدرج فيها الحرارة من القسم البراني إلى الوسطاني فالجُوَّاني، علاوة على المقاصير الملحقة بكل من الوسطاني والجواني، فضلاً عن «القِمِّيم» وهومكان تسخين المياه (بيت النار).

١. البَرَّانِيُّ (المَنزع اوالمخلع):

ويُعرف أيضاً بـ «بيت أول» وهوالقسم المخصص لاستقبال رواد الحمَّام، ومنه يغادرونه، فيه يخلعون ويرتدون ملابسهم قبل وبعد الحمَّام، كما أنه مُعَّد أيضاً

-خاصة للنساء- لإحياء بعض المناسبات الاجتماعية المتعلقة بتقاليد الحمَّام مثل الخطبة والنفاس والختان والتي من خلالها انبثقت بعض الفنون الشعبية التي تميزت بها المجتمعات الإسلامية بصفة عامة. ومن هنا اختلف تخطيط قاعة البراني وأسلوب بنائها عن باقي أقسام الحمَّام[٣٨] حيث تميزت مساحتها بالاتساع وجدرانها بالارتفاع وتغطيتها بقبة شاهقة ذات نوافذ متعددة لتوفير الإضاءة والتهوية، وانتشار المصاطب حول جوانبها وقد فُرشت بأنواع من البسط والسجاد هي في ذاتها تجسيد واضح للفنون الشعبية المتمثلة في صناعة السجاد.

٢. الوسطاني (القاعة الدافئة)

يُعَدُّ الوسطاني أوالقاعة الدافئة القسم الثاني في الحمَّام العام، وهوبمثابة القاعة الدافئة به، وهوفي واقع الأمر يُعْتبر مرحلة انتقالية من القاعة الأولى معتدلة الحرارة إلى القسم التالي الأكثر حرارة وهوما يعرف بقاعة الجواني أوبيت الحرارة، هذا من حيث الوظيفة. أما من حيث عمارة هذا القسم فهوعبارة عن قاعة مستطيلة كانت تغطى في معظم الأحوال بقبونصف برميلي، ويتضمن مصطبة برسم راحة رواده، ومن الأمور التي حرص عليها المعمار تغشية جدران الوسطاني بطبقة من الكلسة ذات تركيبة معينة كانت عاملاً هاماً في احتفاظ الجدران بدرجة الحرارة داخل الحيز الذي تحيط به[٣٩]. وتحت أرضية هذه القاعة المفروشة ببلاطات حجرية أورخامية ملونة كانت توجد أنابيب فخارية تمر من خلالها حرارة المواد المحترقة الناتجة عن تسخين المياه بالحلل النارية[٤٠] والدخانية[٤١] في القميم، ومنها تندفع هذه البقايا إلى المدخنة العامة للحمَّام[٤٢].

ويتضمن الوسطاني وحدات وعناصر ومرافق أخرى تمثل مقوِّمات وظيفة الاستحمام، فيلاحظ أن هذه القاعات قد أُلحقت بها مقاصير (خلوات) خُطِّطَت بطريقة معينة تتوفر من خلالها الخصوصية لمن بداخلها[٤٣] إلى حد كبير خاصة خلال مراحل التنظيف والتدليك وإزالة الشعر التي تتم فيها. وقد اختلفت مساحات هذه المقاصير فنجد أن بعضها يتسع لفرد واحد أوفردين، وبعضها ذومساحة أكبر من ذلك[٤٤].

٣. الجُوَّانِيُّ (بيت الحرارة):

تُشكِّل قاعة الجواني أوبيت الحرارة القسم الداخلي في الحمَّامات وهي القاعة الحقيقية للاستحمام حيث الحرارة الشديدة المدرة للعرق. وقد حَرَص المعمار في تخطيط هذه القاعة على تطبيق المواصفات المعمارية التي اشترطها الفكر المعماري الإسلامي المتعلقة بعملية التنفس وعدم الضيق، في تشكيل الحيز الفراغي لقاعة الجواني من حيث ارتفاع الجدران واستخدام القباب والأقبية في التغطية.

وقد تعددت أنماط التخطيط في قاعات الجواني بحمَّامات مدينة كربلاء في العصر العثماني ولكنها مع الأسف تغيرت بعض عناصرها مع مرور الزمن بسبب الهدم تارة وبسبب أعمال الترميم غير الدقيقة تارة أخرى، فكان النمط الأول منها عبارة عن قاعة مستطيلة يغطيها قبوبيضاوي الشكل، وقد أُلحقت بها عدة مقاصير (خلوات) ذات مساحات صغيرة تغطي كلاً منها قبة، والنمط الثاني عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط تغطيها قبة، وعلى جانبي القاعة إيوانان متماثلان تسقف كلاً منهما قبة، أما النمط الثالث فهوعبارة عن أربعة إيوانات

متعامدة على قاعة وسطى مركزية مغطاة بقبة بينما تغطِّي كلاً من الإيوانات أقبية نصف برميلية. وجدير بالذكر أن قاعات الجواني كانت تشتمل على مغاطس عبارة عن أحواض مستطيلة تملأ بالماء الساخن وتعلوها قبة صغيرة محمولة على أعمدة.

وقد أدرك الفكر المعماري الإسلامي أهمية الاعتبارات الإنسانية المتصلة بعملية التنفس وكذلك أهمية تجنب الشعور بالضيق داخل القاعات الساخنة بالحمَّامات. ولذلك أكد على مواصفات معمارية لكل من قاعتي الوسطاني والجواني على النحو التالي:

أولها: حَرَص المعمار على ارتفاع الجدران في هذه القاعات عن طريق استخدام القباب والأقبية في تغطيتها، وتُعد هذه المواصفات غاية في الأهمية، ذلك لأن نسبة البخار في هذه القاعات تكون عالية بسبب الماء الساخن، ويساعد ارتفاع الجدران وما يعلوها من قباب وقبوات على زيادة الاستيعاب لكميات بخار الماء في الحيز الفراغي، كما يساعد على تحريك الهواء داخل هذه القاعات في دائرة مغلقة[٤٥].

وثانيها: التأكيد على ضرورة اتساع وحدات الحمَّام الساخنة حيث يساعد ذلك على صفاء الهواء وتفريق الحرارة، ومن ثم لا تنحصر الأنفاس المختلفة فيه، ويكون خروج النَفَس ودخوله سهلاً بخلاف الضيق في المساحات[٤٦].

٤. القمِّيم (المستوقد)

يُعَّد القِمِّيم أوالمستوقد من الوحدات المعمارية الهامة الملحقة بالحمَّام، فهوالمكان المخصص لتزويد الحمَّام بالماء والهواء الساخن حيث كان يتم به تسخين الماء في قدور كبيرة، كما كان يستفاد منه أيضاً في سحب الهواء الساخن وبقايا اللهب

والدخان عن طريق أنابيب لتدفئة أرضية كل من قاعتي الجواني والوسطاني[٤٧].

قامت فكرة التخطيط المعماري للقميم على تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء هي: المستوقد، والخزانة، وسكن القميمي[٤٨]، وتمثل هذه الأجـزاء الثلاثة كتلة بنائية مستطيلة أومربعة يزيد ارتفاعها على مستوى الحمَّام، وتنقسم من الداخل إلى ثلاث غرف صغيرة في ثلاثة مستويات يُعرف المستوى الأول ببيت النار أوالأتون، في أرضيته فتحة تنطلق منها بقايا النار والدخان عبر ممرات خاصة ممتدة تحت أرضية كل من الجواني والوسطاني وكذلك المقاصير المتفرعة عنهما تتجمع كلها في ممر بيت النار الـذي يتوسط أرضية كل من قاعتي الجواني والوسطاني ويساعد ذلك بطبيعة الحال على تدفئة أرضية القاعتين مما يذكرنا بأسلوب التدفئة الذي كان مستخدماً في الحمَّامات الرومانية[٤٩]. ويغطي المستوقد أوبيت النار سقف هو في الوقت ذاته أرضية للحجرة العلوية، وشُكِّل هذا السقف على هيأة قبة ضحلة تتوسطها فتحة تُعرف «بالمرازة» يتصاعد منها اللهب للمستوى الثاني الذي يعرف بالدبكونية[٥٠] وهي حجرة قد تكون مربعة أومستطيلة سقفها عبارة عن قبة ضحلة تساعد على عدم تبديد البخار المتصاعد من حلل الماء الساخن الموجودة فيها ويخرج هذا البخار المتصاعد من الحجرة عبر فتحة مستطيلة بجدارها المشترك بينها وبين قاعة الجواني. ويمثل المستوى الثالث مسكن القميمي، وهوعبارة عن حجرة بسيطة قد تكون مستطيلة أومربعة، يغطيها سقف مسطح يتوسطه شخشيخة[٥١]. ويُدخل إلى القميم عادة من باب فرعي للحمَّام غالباً ما كان يقع مطلاً على حارة ضيقة أوزقاق صغير في الجهة المقابلة للبراني (المنزع اوالمخلع).

ثانياً: المجتمع الإسلامي وعمارة الحمَّامات

إن استقراء نصوص الشريعة الإسلامية السمحاء يوصِّلنا إلى نتيجة ثابتة ومحـدَّدة هي أنها جاءت لتحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم، حيث أن هذه الشريعة بُنيت على أصل عظيم وهوجلب المصالح للناس ودرء المفاسد عنهم، ولذلك نجد أن مقاصد الشريعة لا تتعدى ثلاثة أقسام: أولها أن تكون ضروريـة، والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية. فالضرورية هي حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل، والحاجية هي ما يحتاجه الناس للتوسعة عليهم ورفع الضيق والحرج والمشقة عنهم. وتركها يـؤدي بالمكلفين إلى الحـرج والمشقة، وهما مدفوعان بحكم الشريعة، يؤيد ذلك قوله تعالى: «وما جعل عليكم في الدين من حـرج»[٥٢]، أما التحسينية فهي توفير ما تُحَسَّن به حياة الناس من منشآت دينية ومدنية وغيرها، وقد جاءت نصوص الشريعة وأحكامها محققة لهذه الحاجيات وذلك بالتوسعة على الناس كإباحة المحظورات عند الضرورات[٥٣].

وبذلك وَجَد المجتمع الإسلامي دستوراً واضحاً كان على المسؤولين عنه أن يطبقوه فقط، وكان توصيل أفكاره للعامة في المجتمع من مهمة الفقهاء وعلماء الدين الذين حاولوا ذلك وإن اختلفت مذاهبهم[٥٤]. ومن هنا صار الفقه الإسلامي منهجاً متكاملاً في كافة مناحي الحياة الإنسانية كلها، في العقيدة والعبادة والاجتماع والاقتصاد وكذلك أسلوب التشييد والبناء[٥٥].

وقد نظمت الأحكام الفقهية العمل داخل الحمَّامات العامة في المدن الإسلامية وأسلوب ارتفاقها والحرص في تصميمها على طهارة الماء مما استوجب تصميم

أحواضها وأجرانها بطريقة معينة تكفل ذلك[٥٦]. وتماشياً مع هذا الاتجاه أُنشئت حمَّامات خاصة للنساء وأخرى للرجال، وهناك من الحمَّامات ما استُخدم للرجال في أوقات محددة وللنساء في أوقات أخرى، كما أُلحقت ببعض المنشآت الدينية حمَّامات كانت مخصصة لخدمة آهليها إلى جانب خدمة العامة.

وفي ظل الظروف الاجتماعية وتطبيق نصوص الشريعة الإسلامية في المجتمع بُنيت الحمَّامات العامة كنوع من المنشآت الاجتماعية التي روعي في عمارتها ما يتماشى مع ما ينص عليه الفكر المعماري الإسلامي، وقد كان لذلك صدىً كبيرٌ في تطبيق هذا الفكر في عمارة الحمَّامات من جانب المعماريين.

ولما كان للحمَّام دور واضح في الحياة الاجتماعية للمدن الإسلامية وأصبح سلوكاً اجتماعياً جرت به عادة المجتمعات الإسلامية خضع لإشراف المحتسب خضوعاً مباشراً يكفل له استمرار عمله وفق القواعد والقيم التي تنادي بها الشريعة الإسلامية[٥٧].

ثالثاً: دور المحتسب في المدن الإسلامية مع الحمَّامات

لعب المحتسب في المدن الإسلامية دوراً بارزاً في علاقة المجتمع بالحمَّامات وعمارتها، فكان عليه أن يتفقدها كل يوم ليزاول إشرافه ورقابته عليها بنفسه، فإن رأى أحداً قد كشف عورته عزَّره على كشفها وهوبذلك قائم على تطبيق حدود الشريعة في داخلها[٥٨]، وإن تدارك ذلك في حمَّامات النساء فعليه أن يوعظهن ويخوفهن عقوبة الله تعالى إن كان قادراً على ذلك[٥٩].

ولم يقتصر دور المحتسب في إشرافه على الحمَّامات على ما تقدم فقط

بل كـــان له أن يأمر القائمين عليها بكنسها وغسلها بالماء الطاهر عدة مرات في اليوم الواحد[٦٠] ويدلِّكون الأرضيات حتى لا يَعْلَـق بها السدْر[٦١] والخَطْمِيّ[٦٢] فتزلق أرجل الناس عليها[٦٣].

حرص المحتسب على التشديد على نظافة الخزنة (جفنات المياه) التي تزوِّد الحمَّام بالمياه الساخنة، فأوصى بتنظيفها كل شهر مرة على الأقل وتسليك مجاريها من الرواسب المجتمعة فيها حفاظاً على عدم تغيُّر طعم الماء أورائحته، كما حرص على توصية القيِّم حين الصعود إلى الخزنة لفتح الماء إلى الأحواض أوحين تنظيفها أن يغسل رجليه توخياً للطهارة، وأن لا تُستخدم النفايات أوالشعر في سد أنابيب الماء عند إغلاقها، بل تُسد بالليف والخِرَق الطاهرة. وأوصى المحتسب بأن لا يُحبس الماء المستعمل في مجاري الصرف حتى لا تفوح رائحته، ولا يدع القيِّم أحد من الأساكفة أوغيرهم أن يغسلوا أويصبغوا الجلود في الحمَّام فيتضرر الناس من رائحة الدباغة، كما كان عليه أن يمنع الأبرص والمجذوم من دخول الحمَّام لمنع انتشار المرض والعدوى، وأخيراً كان من مهام المحتسب أن يبخِّر الحمَّام مرتين يومياً وخاصة عند كنسه أوغسله، ومتى برد الحمَّام يبخِّره القيِّم بالخزامى[٦٤] فإن دخانها يحمي هواءه ويطيِّب رائحته[٦٥]. كما كان على القيِّم أن يأمر الأتَّان[٦٦] بأن لا يستخدم الزُبُل ورَوْثْ الحيوان المجفف ونحوه في وقوده حتى لا يتأثر الماء برائحة دخانها السيئة فيفسد أويفقد طهارته[٦٧].

ويُلزم القيِّم أيضاً «المزيِّن» -وهوالبلان- باستعمال الأمواس الجيدة، كما ينبغي أن يكون هذا المزين خفيفاً رشيقاً بصيراً بصنعته، ولا يحلق شعر صبي إلا بإذن وليِّه، ولا عبداً إلا بإذن سيده، ولا يحلق عذَّار أَمْرَد ولا لحية مُخَنَّث،

كما ألزمه أيضاً بعدم أكل ما يغيِّر رائحة فمه كالبصل والثوم والكرَّاث وأشباه ذلك في يوم نوبته لئلا يتضرر الناس بذلك[٦٨]. وكان للمحتسب أيضاً أن يأمر المدلِّك أن يدلِّك يده بقشور الرمان لتصير خشنة فتُخرج الوسخ وينتفع بها الإنسان، ويُمنع من دلوك الباقلاء والعدس في الحَمَّام لأن ذلك طعام فلا يجوز أن يُمتهن[٦٩].

ومراعاة للآداب العامة أيضاً حرص المحتسبون والولاة على مراقبة الشباب ومنعهم من التسكع على أبواب الحَمَّامات لملاحظة النساء، وكذلك منع المخنث والأمرد من الدخول درءً للشبهات وحتى لا يكونوا مدعاة للفساد والشذوذ[٧٠].

تعدَّت رقابة المحتسب والسلطة الإدارية كل ما سبقت الإشارة إليه حيث شُدِّدَت الرقابة أيضاً على حسن معاملة العاملين بالحَمَّام لمرتاديه وكذلك حسن أدائهم لما يقومون به من خدمات، إلى جانب تحسين سير العمل والاهتمام بجودة الأدوات المستخدمة فيه[٧١]. وربما ينم ذلك كله عن مدى أهمية الحَمَّام في ذلك الوقت في حياة الناس ومدى اهتمام أولي الأمر به.

رابعاً: حمَّامات السوق الباقية في مدينة كربلاء

كانت حمَّامات السوق في كربلاء من مراكز الحياة الاجتماعية حيث ارتبطت ببعض المناسبات الهامة في حياة المجتمع[٧٢]، كما تُعد هذه الحَمَّامات من المعالم الأثرية في كربلاء على الرغم من أن عددها قد تقلص وتضاءلت أهميتها بالمدينة حيث هجرها السكان إلى حدٍ كبير وأصبح الإقبال عليها ضعيفاً ولم تعد كما كانت وقت إنشائها.

ونظراً لافتقار حمَّامات السوق بكربلاء للدراسات العلمية الحديثة وكذلك عدم ذكرها بالمصادر العربية القديمة -على حد علمي- بالقدر الذي يساعدنا على التعرف على تاريخ تشييدها أوحتى العصر الذي شُيدت فيه، تجدر الإشارة إلى أن ما نشر من دراسات عن تاريخ وعمارة هذه الحمَّامات من جانب بعض المجتهدين والهواة قد جانبها الصواب تماماً لعدم استنادها على أسس علمية أوتاريخية، ولا تخرج جميعها أومعظمها عن اجتهادات شخصية عشوائية وأخرى عبارة عن أقاويل تناقلتها الأجيال، ومعظمها في الحقيقة بعيد عن الصدق والصواب.

لكننا نستطيع أن نقرر أن فكرة تصميم الحمَّام وعناصره المعمارية التي نص عليها الفكر المعماري الإسلامي وحرص معماريو المدن الإسلامية على تنفيذها هي نفسها التي اتبعها وسار عليها معماريو العصر العثماني في مدينة كربلاء، يؤكد ذلك أن الحمَّامات الأثرية الباقية فيها -بصفة عامة- اتسمت بطابع خاص يميزها وهوالبساطة الشديدة، فضلاً عن خلوها من العناصر الزخرفية الفنية التي تميزت بها الحمَّامات الأثرية الباقية في معظم المدن الإسلامية الأخرى، هذا إلى جانب الإضافات المعمارية الحديثة التي شوهت المعالم الأثرية الأصيلة التي كانت موجودة فيها، وكذلك استعمال أساليب حديثة في طريقة تسخين المياه الخاصة بها مما استدعى تغيير العناصر المعمارية الفنية للقميم أو بيت النار. ونضيف إلى ذلك زوال العادات والتقاليد التي كانت متبعة في المجتمع الكربلائي في ظل وجود الحمَّامات والتي كانت معروفة في سائر المجتمعات في المدن الإسلامية.

وعلى الرغم من اختلاف مخططات الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء إلا أنها تشابهت مع مثيلاتها الباقية بمدن الشام والقاهرة منذ العصر الأموي وحتى

العصر العثماني ولم تختلف إلا في تفاصيل بسيطة.

وجدير بالذكر أن حمَّامات السوق الكربلائية قد استمدت أصولها المعمارية من الطراز الفارسي والتركي ولكنها تميزت عنهما بصفات محلية، وهي سمة متبعة في المشيدات المعمارية في كل المدن الإسلامية عامة، فقد استعملت مواد البناء المحلية كالطابوق والجص والنورة والقار الأسود العازل للحرارة، وفي الوقت ذاته استُعملت العناصر المعمارية التي عرفتها سائر حمَّامات المدن الإسلامية كالقباب والقبوات في التسقيف(٧٣). أما التخطيطات والتكوينات المعمارية فقد ظلت كمثيلاتها في حمّامات المدن الإسلامية دون أن يلحق بها تغييرات جوهرية، حيث نجد أقسام الحمَّام الثلاثة كما هي: البراني -الوسطاني- الجواني.

تعرضت حمَّامات مدينة كربلاء للهدم والـزوال إما بسبب إهمالها وعدم ترميمها وتجديدها، ويرجع ذلك بطبيعة الحال لهجر المجتمع الكربلائي لها، وإما بسبب التوسعات التي شهدتها المدينة مؤخراً منذ عام ١٩٩٧ وشق شوارع جديدة مما استوجب هدم كثير من المباني التراثية والتاريخية في كربلاء ومن ضمنها حمَّامات السوق، ومع تجوالنا في المدينة خلال الدراسة الميدانية لم نجد غير أربعة حمَّامات لا تزال قائمة ولكنها معطلة عن مزاولة نشاطها لعدم إعدادها وتجهيزها بالأسلوب الذي يتلاءم مع استقبال روادها إلا حمَّام واحد منها هوحمَّام السيد سعيد الشروفي الكائن في باب السلالمة، وسنتناول من هذه الحمَّامات الأربعة حمَّامين فقط هما حمَّام الشروفي وحمَّام البغدادي حيث استطعنا أن نرجح تأريخهما عن طريق الاستنتاج والمقارنة، أما الحمَّامان الآخران فقد ضاعت تماماً عناصرهما المعمارية الأثرية واستبدلت بعناصر مستحدثة ذات طرز

لا تمت للقديم من قريب أوبعيد، وهما حمَّام نينوى وحمَّام النمرة.

١. حمَّام السيد سعيد الشروفي

أ. الموقع والتاريخ

يقع هذا الحمَّام في منطقة باب السلالمة في بشارع الوزون عند الجهة الجنوبية الغربية من مرقد أبي الفضل العباس عليه السلام، حيث يطل بواجهته الرئيسية على هذا الشارع، وفي حديث مع القائم على الحمَّام ذكر لنا أن تاريخ بنائه يعود إلى عام ١٩٢٠م، ولكن بمعاينة العناصر المعمارية للحمَّام وعلى وجه التحديد القبة التي تعلوقاعة الاستقبال، وكذلك القبة التي تغطي القاعة الساخنة (الجواني) والطراز الفني لمناطق انتقالها المتمثل في استخدام المثلثات الكروية التي تميزت بها مناطق انتقال القباب في العصر العثماني والتي نراها منتشرة في حمَّامات دمشق والقاهرة واسطنبول على وجه الخصوص، إلى جانب بيت النار (المستوقد) وأسلوب بناء عقوده وسقفه المروحي، نرجح من جانبنا أن هذا البناء يرجع إلى نهاية العصر العثماني في العراق أي نهاية القرن التاسع عشر على أقل تقدير وذلك بمقارنة هذه العناصر مع مثيلاتها في معظم حمَّامات مدينتي دمشق والقاهرة التي ترجع لنفس الفترة الزمنية.

وقد نما إلى علمنا أن مالك الحمَّام قد اشتراه بالفعل عام ١٩٢٠م، واستنتجنا أنه ربما قد قام بعد شرائه بإجراء بعض أعمال الترميم والتجديد مما جعل أهل الحي يرجعون تاريخ تشييده إلى ذلك العام حيث نُسب الحمَّام إليه وظل يُعرف باسمه حتى وقتنا الحاضر.

ويستطيع الباحث المتخصص في العمارة الإسلامية عامة وعمارة الحمَّامات خاصة أن يميز بين العناصر القديمة التي ترجع للعصر العثماني والعناصر الحديثة التي أُضيفت لهذا الحمَّام فيما بعد والتي غيرت من معالمه الرئيسية بعد عام ١٩٢٠، حيث يتضح سقوط خوذتي القبتين التي تغطي كلاً من قاعة الاستقبال (المخلع أوالمنزع) وقاعة بيت الحرارة (الجواني) وإعادة بنائهما بأسلوب مخالف للأسلوب الذي كان متبعاً في العصر الإسلامي بصفة عامة، خاصة خوذة بيت الحرارة التي فقدت (القماري) أي الفتحات الصغيرة المستديرة المغشاة بالزجاج الملون التي كانت تسمح بمرور الضوء دون الهواء لإنارة تلك القاعة، فضلاً عن إضافة كمرات حديدية أسفل مناطق الانتقال ذات الطراز القديم لتقويتها وتدعيمها لتحمل ثقل القبة المقامة فوقها.

ب. الوصف العام للحمَّام

شُيِّد الحمَّام حسب الطراز المعماري المتبع في المدن الإسلامية بصفة عامة وكذلك حمَّامات مدينة بغداد التي ترجع للعصر العثماني بصفة خاصة، حيث يتميز بمدخله الضيق الذي يؤدي إلى ردهة صغيرة كانت تخصص للحلاق (المزين) وما زالت كذلك حتى الآن، ومنها ندلف إلى قاعة الاستقبال المعروفة بالمخلع أوالمنزع والتي تغطيها قبةٌ شاهقة، ويؤدي باب صغير من المنزع إلى قاعة دافئة في حرارتها تُعرف بالوسطاني ومنها إلى قاعة بيت الحرارة المعروفة أيضاً بالجواني والتي تغطيها هي الأخرى قبة مرتفعة، وقد أُلحقت بهذه القاعة عدة مقاصير أوخلاوي بالإضافة إلى المغطس. ويقع مستوقد الحمَّام أوبيت النار في

الناحية الشمالية لبيت الحرارة.

ت. الواجهة الرئيسية

تتميز معظم واجهات حمَّامات العصر العثماني في المدن الإسلامية مثل دمشق والقاهرة واسطنبول وغيرها باشتمالها على حوانيت تجارية إلى جانب المدخل بدلاً من النوافذ التي كانت تضمها واجهات الحمَّامات التي ترجع للعصور السابقة لها في تلك المدن، ومما يرجح نسبة هذا الحمَّام أيضاً لهذا العصر اشتمال واجهته الرئيسية المطلة على شارع الوزون على عدة محلات تجارية، متماثلة في ذلك مع واجهات حمَّامات المدن المشار إليها. وتبدومن أعلى الواجهة خوذتا كل من قبتي قاعة الاستقبال وقاعة بيت الحرارة، وهما متشابهتان في شكلهما العام الذي يدل على إعادة بنائهما في وقت لاحق لتاريخ المبنى الأصلي وذلك لاختلاف طراز البناء عن الطراز المتبع في بناء خوذات العصر العثماني، حيث نجد أن كلاً منهما ترتكز مباشرة على الجدار دون وجود الرقبة المستديرة ذات النوافذ الصغيرة، بالإضافة إلى تدرجها كلما ارتفعت لأعلى.

يقع مدخل الحمام في أقصى الناحية الغربية للواجهة ويؤدي مباشرة إلى ردهة مربعة المسقط تُستعمل كمكان للحلاَّق الذي كان من العناصر الأساسية العاملة في الحمَّامات. ويفتح بالجدار الشرقي لهذه الردهة باب يفضي مباشرة إلى الإيوان الجنوبي لقاعة الاستقبال.

ث. المنزع (قاعة الاستقبال)

وهي عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط كان يتوسطها فسقية حجرية أورخامية مثمنة أومستديرة على غرار حمَّامات العصر العثماني، تحيط بالقاعة أربعة إيوانات يطل كل منها على القاعة بعقد منكسر ويلاحظ أن أكبرها وأعمقها الإيوان الجنوبي الذي يستغل لجلوس قيِّم الحمَّام على تخته لاستقبال الرواد. كانت المصاطب الحجرية المخصصة لجلوس رواد الحمَّام تصطف حول جدران هذه الإيوانات، استُبدلت حالياً بأرائك خشبية، وتفتح أعلى كل من الإيوانين الشرقي والغربي نافذةٌ مستطيلة للإضاءة والتهوية وهما العنصران الوحيدان الموجودان في القاعة من أجل هذا الغرض إضافة إلى الفانوس الزجاجي في أعلى القبة التي تغطي القاعة. ترتكز هذه القبة مباشرة دون رقبة على مناطق الانتقال ذات الطراز العثماني وهي على هيأة مثلثات كروية ناتجة عن التقاء العقود المنكسرة التي تشغل واجهات الأواوين الأربعة، وقطب القبة عبارة عن فتحة مستديرة يعلوها فانوس زجاجي بغرض الإضافة والتهوية.

ونظن من جانبنا أن هناك تغييراً قد طرأ على بناء خوذة هذه القبة، حيث تميزت القباب التي تغطي قاعات المخلع بالحمَّامات عامة بوجود رقبة مستديرة تعلومناطق الانتقال لترتكز عليها خوذة القبة وحتى تسمح للمعمار بفتح نوافذ صغيرة تتراوح بين ثماني أوست عشرة نافذة على أكثر تقدير تسمح بإضاءة وتهوية القاعة، وقلما وُجدت قبة في أحد الحمامات دون هذه الرقبة، وإن وُجدت كان المعمار يحرص أيضاً على فتح عدة نوافذ في أسفل الخوذة.

ج. قاعة الوسطاني (القاعة الدافئة)

يوجد في الجهة الجنوبية الشرقية من قاعة الاستقبال درج حجري هابط مكون من ثلاث درجات يوصل إلى باب صغير مستطيل يفضي مباشرة إلى قاعة الحمَّام الوسطى وهي القاعة الدافئة التي تُعرف بالوسطاني أوبيت أول، وهي قاعة متسعة مستطيلة المسقط تمتد من الشمال إلى الجنوب ويغطيها قبونصف برميلي ضحل تتوسطه فتحة مستديرة مغطاة بفانوس زجاجي، وقد أُلحق بهذه القاعة مرحاض في الجهة الجنوبية نصل إليه عبر باب صغير مستطيل، بينما يتوسط الجدار الشرقي باب آخر يوصل إلى القاعة الساخنة للحمَّام.

ح. الجواني (بيت الحرارة)

نصل إلى هذه القاعة عن طريق الباب الكائن في الجدار الشرقي للوسطاني المشار إليه، وهي عبارة عن قاعة مربعة المسقط تحيط بها أربعة إيوانات وأُلحقت بها عدة مقاصير أوخلاوي إضافة إلى المغطس في الجهة الشمالية الغربية، وجدير بالذكر أن تخطيط هذه القاعة مماثل لمخططات قاعات الجواني في الحمَّامات العثمانية لكلٍ من دمشق والقاهرة.

تتوسط القاعة الوسطى مصطبة حجرية مستطيلة مخصصة لتدليك المستحمين، ويطل كل إيوان على القاعة بواجهة، نجدها في الإيوان الشمالي معقودة بعقد منكسر، وبعقد موتور لكل من الإيوانات الثلاثة الأخرى، وقد أُدخلت على كل الإيوانات تعديلات وإضافات معمارية غيرت من معالمها الأصلية عدا الإيوان الجنوبي الذي لا يزال يحتفظ بتصميمه القديم، حيث

مسقطه المستطيل الممتد من الشرق إلى الغرب ويغطيه سقف مقبي، وعلى جوانبه أحواض مستديرة للماء الساخن. أُلحقت بالقاعة مقصورتان أوخلوتان، إحداهما بالركن الجنوبي الشرقي والثانية في الركن الشمالي الشرقي تشتمل كل منهما على أحواض مستديرة برسم الماء الساخن، ويغطيها قبونصف برميلي في وسطه فتحة مستديرة مغشاة بالزجاج لعدم تسرب الحرارة. وجدير بالإشارة إلى أنه يوجد في الركن الشمالي الغربي للقاعة مغطس يُصعد إليه بأربع درجات سلم حجرية وهوعبارة عن تجويف مربع المسقط يُملأ بالماء الساخن يغطس فيه المستحمون.

غُطيت قاعة الجواني بقبة مرتفعة ترتكز على مثلثات كروية تحول مربع القاعة إلى مثمن ترتكز عليه خوذة القبة مباشرةً.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجري تحت أرضية بيت الحرارة أنبوب اسطواني قادم من بيت النار (المستوقد) وربما يتفرع منه فرعان أوأكثر تحت أرضيات الأواوين الأربعة والمقصورتين المشار إليهما، يمر بهذا الأنبوب هواء ساخن يعمل على تسخين أرضيات القاعة وملحقاتها، وفي الوقت ذاته يحمل الأدخنة الناتجة عن احتراق الوقود إلى المدخنة ومنها إلى خارج الحمَّام.

خ. القميم (بيت النار)

يقع في الناحية الشمالية من الحمَّام خلف بيت الحرارة، والقميم هوالمستوقد الخاص بتسخين مياه الحمَّام وكان يوقد في الماضي باستخدام الزبل وروث الحيوانات بعد تجفيفه، وقد تغيرت الآن طرق التسخين بأساليب حديثة تعتمد على السولار أوغيره من المواد. ويشتمل حمَّام الشروفي على العناصر المعمارية

الأصيلة للقميم فهوعبارة عن إيوان رأسي مستطيل مبني بالآجر واجهته عبارة عن عقد مدبب ويغطي سقفه قبومروحي.

٢. حمَّام البغدادي

أ. الموقع والتاريخ

يقع حمَّام البغدادي في منطقة العباسية الغربية على الجانب الجنوبي لشارع الجمهورية عند تقاطعه مع ساحة البلوش. لم نستطع الحصول على تاريخ الحمّام من خلال المصادر التاريخية أوالمؤلفات الحديثة، كما لم نستطع أيضاً الوصول إلى معلومات مفيدة عن تاريخ إنشائه من القائمين عليه أوكبار السن القاطنين في منطقة أوبالقرب من الحمَّام.

وعند دخولنا للحمَّام فوجئنا بحالته المعمارية السيئة حيث وجدناه في حالة يرثى لها، فقد آلت جدرانه للسقوط وارتفعت أرضياته عن مستواها الطبيعي بحيث اقتربت سقوفه من الأرض لدرجة يصعب فيها التجول في داخله إلا في وضع انحناء تام حتى لا تصطدم رأس من بداخله بالسقف. وخلاصة القول أنني شعرت بحزن شديد ينتابني على ما وصل إليه المبنى الذي يُعد من أقدم حمَّامات كربلاء في العصر العثماني، فهوبحق تحفة معمارية معرضة للزوال نهائياً تاركة فراغاً كبيراً في تاريخ عمارة الحمَّامات الكربلائية.

ومن خلال تلك الأطلال الباقية تبين أن هذا الحمَّام من نوعية الحمَّامات المزدوجة حيث يتكون من حمَّام للرجال وآخر للنساء، وقد كان مشيداً على نسق تخطيط الحمَّامات التي تنتمي للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

حيث تدل على ذلك كل عناصره المعمارية المتمثلة في العقود المدببة وعقود حدوة الفرس، والقباب، ويؤيد اتجاهنا هذا تطابقه في تخطيطه وعناصره المعمارية مع حمَّام الرفاعي الكائن في حي الميدان في مدينة دمشق الذي يرجع تاريخه للقرن العاشر الهجري، وما يؤكد عودته لهذا التاريخ أيضاً المواد المستخدمة في البناء من الطابوق المحلي، هذا إلى جانب السُمْك الكبير للجدران الذي تميزت به حمَّامات العصر العثماني في المدن الإسلامية بصفة عامة.

ب. التخطيط العام للحمَّام

اقتُطع جزء من مساحة الحمَّام من الجهة الشمالية لم يُبْقِ على وجود واجهة له، وحل محل الواجهة عدد من الحوانيت الحديثة. وأصبح المدخل يمثل واجهته الرئيسية.

وينقسم الحمَّام من الداخل إلى ثلاثة أقسام تبدأ بالبراني الذي يتكون من قاعتين متجاورتين يفصل بينهما عقد موتور مدبب، ويغطي كلاً منهما قبة يفتح بقطبها فانوس زجاجي، وعلى جوانب كل منهما مصاطب حديثة والقسم الثاني هو بيت أول (الوسطاني) ويقع في الجهة الجنوبية الغربية لقاعة الاستقبال (البراني)، ويتألف من قاعتين متتاليتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب ويغطي كلاً منهما قبة، وفي النهاية الجنوبية للوسطاني باب يؤدي إلى القسم الثالث والأخير للحمَّام وهوبيت الحرارة (الجواني)، ويتكوَّن من قاعة وسطى مربعة تغطيها قبة، يطلّ عليها من الجهات الأربع أربعة إيوانات كانت تغطي كلاً منها قبة صغيرة كما يطل كل منها على القاعة الوسطى بعقد موتور مدبب.

ت. البراني (المنزع اوالمخلع)

نصل إلى قاعة البراني من باب الدخول الرئيسي عبر ردهة مربعة،والبراني عبارة عن قاعتين متشابهتين، تقع الأولى جهة الشرق من الردهة المربعة المشار إليها، وتليها الثانية جهة الشرق ويفصل بينهما -كما سبقت الإشارة- عقد مدبب موتور، تشغل كلاً من الجدارين الشمالي والجنوبي للقاعة دخلة باتساع الجدار معقودة بعقد منكسر، وينتج عن تلاقي أرجل العقود مثلثات كروية تمثل منطقة الانتقال التي تحول مربع القاعة إلى مثمن ترتكز عليه خوذة القبة التي تغطي القاعة والتي يشغل قطبها فتحة مستديرة كان يعلوها فانوس خشبي أوزجاجي فيه نوافذ للإضاءة والتهوية، وتتشابه القاعة الثانية مع الأولى غير أن جدارها الشرقي المقابل للعقد الأوسط الفاصل بين القاعتين تشغله دخلة معقودة تشبه دخلات القاعة الأولى.

ث. الوسطاني (القاعة الدافئة)

يقع الوسطاني في الجهة الجنوبية الغربية لقاعة الاستقبال وتتقدمه من جهة الشمال ردهة صغيرة مربعة مغطاة بقبة ضحلة، ويتكون الوسطاني من قاعتين متتاليتين الأولى جهة الشمال تشغل كلاً من جدرانها الشمالي والشرقي والغربي دخلة معقودة بعقد موتور، بينما فُتح الجانب الجنوبي لها المتوَّج بعقد موتور على القاعة الثانية في الجهة الجنوبية، وتتلاقى أرجل عقود الدخلات الجدارية المشار إليها لتكون مثلثات كروية تمثل منطقة انتقال ترتكز عليها قبة ضحلة ذات فتحة مستديرة بقطبها. يربط الجانب الجنوبي المفتوح لهذه القاعة بالقاعة الثانية

للوسطاني التي تليها جهة الجنوب وهي مشابهة للأولى في كل تفاصيلها المعمارية. وفي نهاية هذه القاعة من الجهة الجنوبية باب يؤدي إلى قاعة الجواني.

ج. الجواني (القاعة الساخنة)

تتميز قاعة الجواني في حمَّام البغدادي بتخطيط فريد متطور عبارة عن قاعة وسطى مربعة المسقط تسقفها قبة وتتعامد عليها أربعة إيوانات تغطي كلاً منها قبة.

ويُعد قسم الجواني والذي يمثل القاعة الساخنة في هذا الحمَّام من أكثر أقسام الجواني في الحمَّامات الكربلائية اتساعاً وتنظيماً، فهويتألف من قاعة وسطى مركزية مربعة المسقط جوانبها الأربعة المفتوحة عبارة عن عقود نصف دائرية محمولة على أربع دعامات، وتغطي القاعة قبة ترتكز على العقود الأربعة المشار إليها، وتنحصر مناطق الانتقال بين كوشات هذه العقود وهي عبارة عن مثلثات كروية. تفتح الجوانب الأربعة للقاعة الوسطى على أربعة إيوانات صغيرة متعامدة يتماثل فيها كل إيوانين متقابلين.

ح. حمَّام النساء

يقع حمَّام النساء في الجهة الغربية لحمَّام الرجال المشار إليه وملاصقاً له، ومن خلال أطلاله الباقية يتضح أنه كان مماثلاً لحمَّام الرجال في تخطيطه وعناصره المعمارية، ولكن لسوء الطالع لم نستطع الدخول إليه لارتفاع منسوب أرضياته واقتراب سقوفه من أرضيته وحالة التهدم الشديدة التي يعاني منها.

خامساً: أثر حمامات السوق على الحياة الاجتماعية

إلى جانب ما قدمته حمَّامات السوق من خدمات اجتماعية خلال العصر الإسلامي من حفاظ على مستوى النظافة العامة ومن كونها منتدى الأخِلاء والأصدقاء، ومتنفس المرأة للخروج من بيتها، إضافة إلى دورها كدور علاجية ومساهمتها في الحفاظ على الصحة العامة، فقد لعبت دوراً هاماً ظهرت من خلاله تقاليد جديدة على المجتمع الإسلامي صارت من العادات الاجتماعية وهي تقاليد الزواج والختان[٧٤]. وصار الحمَّام يمثل جزءً هاماً في مراسم الزواج حيث كانت زيارة كل من العروسين للحمَّام تكاد تمثل جزءً أساسياً بين هذه المراسيم، وقد اهتمت بذلك كل فئات المجتمع وتساوى في ذلك الغني والفقير وإن اختلفت زيارة كل منهما فقط في مقدار فخامة موكب الزيارة وأبهته[٧٥].

وإذا كانت المصادر التاريخية قد خلت من تسجيل مثل هذه العادات الاجتماعية إلا من لمحات قليلة لها وتبعها في ذلك الرحالة بصفة عامة، فإن هذه التقاليد والعادات قد لفتت أنظار بعض الرحالة الأوروبيين المحدثين، فأقبلوا على تسجيلها تسجيلاً دقيقاً منذ القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. وإذا كان تسجيل هذه العادات لم يتم إلا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي فمن المسلَّم به أنها كانت موجودة قبل ذلك ربما بقرون طويلة ويدلنا على ذلك تلك اللمحات القليلة التي وردت في المصادر القديمة حيث أنه من المعروف أن العادات والتقاليد بصفة عامة لا تكون وليدة يوم وليلة، ولكن من المؤكد أنها كانت قائمة ربما منذ عُرفت الحمَّامات، وتطورت هي الأخرى حتى أصبحت بالأسلوب الذي وصلنا تسجيله من المؤرخين المحدثين خاصة

وأنها كانت من العادات الرومانية القديمة مما يرجح أنها عادات متوارثة ضمن ما ورثته الحضارة الإسلامية من الحضارات السابقة لها[٧٦].

١. حمَّام العُرس

يُعَدُّ حمَّام العُرْس أوما يُعرف بزفَّة الحمَّام من احتفالات الزواج الهامة التي كانت تحرص عليها المجتمع الكربلائي بصفة عامة من الأغنياء أوالفقراء، حيث أصبح من تقاليد الزواج التي كانت تحرص عليها النساء، حتى أن بعضهن لا تربطها بالحمَّام سوى تلك المناسبات[٧٧].

اتسمت زيارة العروس للحمَّام بمظاهر الابتهاج والفرحة حيث كانت ترافق العروس خلال زيارتها للحمَّام الذي يكون مُعَدَّاً لاستقبال هذا الحفل مسبقاً نساء عائلتها وصديقاتها المقربات، ويتجمع الركب في قاعة البراني حيث يبدأن بخلع ملابسهن مغنيات مهللات، ثم من الوسطاني يدخلن إلى الجواني في شبه موكب صاخب، وبينما تُحمِّم النساء بعضهن تُجْلِس أُوسطى الحمَّام العروسَ أمامها وتشرع في تحميمها[٧٨] وبعد قضاء وقت في قاعة الجواني يخرجن جميعاً إلى البراني لتناول طعام العروس حيث يقضين وقتاً طيباً ليعدن مرة أخرى إلى الجواني لاستكمال حمَّامهن، وتسمى جلستهن تلك بالخلوة، وبعد الانتهاء يعدن للبراني ويرتدين ملابسهن، وتتقدم أم العروس من الناطورة والأوسطى والبلانة لتكرمهن بما يتناسب وما قمن به[٧٩].

وقد اعتادت النساء في بعض الفترات خلال العصر العثماني أن يطالبن أزواجهن بالكثير من مصروفات الحمَّام والمبالغة في أجرة القيِّمة، وقد ينتهي بها

ذلك إلى الخصام مع زوجها، وقد اعتدن أيضاً أن يأخذن معهن الحنَّاء والسدر والأشنان وغيرها، كما اعتادت الموسرات منهن أخذ صرر الديباج والأواني النفيسة والأطعمة المنوعة، ويلبسن أفخر ثيابهن[٨٠].

٢. حمَّام النِّفَاس

ومن التقاليد الاجتماعية المتعلقة بحمَّام النساء التي اتُّبعت في تلك الفترة أيضاً ما يُعرف بحمَّام «الفَسَخ» (النفاس) وهو خاص بالنَفْسَاء ويكون اعتباراً من اليوم السابع للولادة حتى اليوم الحادي والعشرين[٨١]. وقبيل اليوم الأربعين للنفساء كان هناك تقليد اجتماعي متَّبع مرتبط أيضاً بزيارة النفساء وأقاربها للحمَّام فيما كان يُعرف بحمَّام الأربعين، وكان هذا الحمَّام مصحوباً بالأفراح والأغاني من جانب الأهل[٨٢].

٣. حمَّام الختان

شاركت حمَّامات كربلاء أيضاً في العصر العثماني في حفلات الختان كتقليد اجتماعي حيث كانت تستقبل مثل هذه الحفلات التي كانت في أغلب الأحيان تصاحب مواكب العُرس إلى الحمَّام، فقد كان الطفل يُحمل على فرس غالباً ما يكون أبيض اللون، ويرتدي هو أيضاً ملابس بيضاء ويسير معه الأهل والأقرباء في موكب كبير قبل إجراء عملية الختان متجهاً إلى الحمَّام وبعد العودة يتم إجراء هذه العملية على يد المزيِّن[٨٣].

تعدى الدور الذي لعبه الحمَّام في حفلات الزواج والنفاس والختان إلى دور

آخر له بُعد اجتماعي هام وهومشاركته في الحياة الاجتماعية كمنتدى يشارك في الحياة اليومية حيث كان ملاذاً للأصدقاء يقضون فيه أوقات فراغهم، ويعقدون فيه اجتماعاتهم حيث تدور مناقشات حول الأخبار السياسية والفكرية والأدبية، كما كانت تُجرى فيه عقود الصفقات التجارية من خلال تلك الندوات، بل كان أحياناً بمثابة وكرٍ تُحاك فيه المؤامرات وتدبر فيه المكائد(٨٤).

ولم يقلّ الدور الذي قام به الحمَّام في الحياة العامة للنساء -بعيداً عن المناسبات المشار إليها- عن الدور الذي قدمه في الحياة العامة للرجال في هذه الفترة، فقد مثل أهمية خاصة في لحياة النساء في المجتمع الإسلامي لقرون عدة حيث كان هوالمكان الوحيد الذي يجدن فيه حريتهن كاملة، فنادراً ما كانت تخرج النساء للزيارات المنزلية، وكان الذهاب للحمَّام فرصتهن الوحيدة للاجتماع بصديقاتهن، وفضلاً عن اعتباره الملاذ الأوحد الذي يجدن فيه فرصة لسرد الحكايات وإطلاق الشائعات وممارسة النميمة، فقد كان أيضاً المكان المناسب لهن لاستعراض ملابسهن ومجوهراتهن، وكن يستخدمن العطر وماء الورد ببذخ، ويقضين أيضاً وقتهن في تناول الطعام، وغيرها من سائر المتع(٨٥).

وبسبب انكشاف النساء على بعضهن فلطالما تمت زيجات هناك، وذلك عندما ترى الأم أوالأخت فتاة تروقها فتختارها عروساً لابنها أولأخيها بعد سؤال معظم العاملات في الحمَّام وأخذ رأيهن في الفتاة المقصودة(٨٦).

وهكذا نرى أن الحمَّام بأنشطته المتنوعة ومشاركته في العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية كان يمثل مؤسسة اجتماعية قامت بدور هام في المجتمع الكربلائي على مدى قرون عديدة سواء بالنسبة للرجال أوالنساء وكذلك

بالنسبة للقادرين والفقراء وحتى المعدمين[٨٧]، ولم توصد الحمَّامات في وجه أولئك أوهؤلاء بل كانت كمؤسسة اجتماعية عامة تقدم خدماتها لقاء أجر زهيد يحصلون في مقابله على قدر من الترويح والنظافة إلى جانب تطهرهم استعداداً لأداء واجباتهم الدينية[٨٨].

خاتمة

تناولت الدراسة موضوعاً في العمارة الإسلامية المدنية المتخصصة في تقديم الرعاية لأفراد المجتمع الإسلامي بشتى طوائفه وطبقاته في كربلاء، وركزت الدراسة على الحمَّامات الباقية في مدينة كربلاء من العصر العثماني، وبيَّنت الدراسة مدى الحاجة إلى مزيد من الدراسات العلمية الحديثة المتخصصة في هذا النوع من العمارة التقليدية والحفاظ على ما تبقى منها خاصة في كربلاء.

كما ألقت الدراسة الضوء على الأصول القديمة للحمَّامات وأن العرب المسلمين اقتبسوا فكرتها فقط بينما جاءت عمارتها نابعة من الفكر المعماري الإسلامي لتتماشى مع الذوق والفكر الإسلامي.

بيَّنت الدراسة أيضاً بعضاً من العادات الاجتماعية في المدن الشامية وغيرها التي ترتبت على وجود الحمَّامات وارتيادها، وإلى جانب ذلك أظهرت الدراسة جانباً هاماً من العادات والتقاليد الاجتماعية التي صاحبت وجود الحمَّامات في حفلات الزواج والختان والنفاس التي كانت تقام بالحمَّامات.

الهوامش

(١) المناوي (الشيخ عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين بن يحيى بن محمد المناوي، ت. ١٠٣١هـ)، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧، ص١٧.

(٢) ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت. ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، ج٢، دار المعارف بالقاهرة، د.ت.، ص١٠٠٨ – ١٠٠٩.

(٣) محمد سيف النصر أبوالفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية العصر المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب–جامعة أسيوط ١٩٨٠، ص١٥٨؛ سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار–جامعة القاهرة ١٩٨٣، ص٢.

(٤) وثيقة السلطان قلاوون ١٠١٠، ١٠١١ أوقاف؛ حجة وقف الظاهر برقوق رقم ٥١/ محفظة ٩ دار الوثائق القومية بالقاهرة؛ وثيقة وقف قايتباي ٨٨٦ أوقاف؛ وثيقة السلطان الغوري ٨٨٢ أوقاف.

(٥) أي خدشة، وهي من الفعل خمش أي خدش.

(٦) النورة هي حجر الكلس ثم غلب على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره، ويستعمل لإزالة الشعر في الحمام، ويقولون تنور أي تطلى بالنورة.

(٧) المقريزي (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي، ت. ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر بيروت، د. ت.، ص٧٩؛ عبدالرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص١٨.

(٨) عبدالحميد زيدان، التجميل عند قدماء المصريين، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر لسنة ١٩٦٤ – ١٩٦٥، ص١٥.

(9) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. Le Caire 1933. p. 10.

(10) EL -khashab (A.M.). Ptolamaic and Roman Baths of Kome EL-Ahmar. Imprimetie de L'Institue Francais d'Archeologi Oriental. Cairo 1979. p. 5.

(11) EL – khashab. Potlamaic and Roman Baths. p. 5

(12) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. p. 10.

(13) Pauty (E.). Les Hammams du Caire. p. 11.

(14) Creswell (K.A.C.). Early Muslim Architecture. Oxforrd 1952. p. 275.

(15) EL – khashab. Potlamaic and Roman Baths. p. 18.

(١٦) منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي – مدخل–، منشورات جروس برس، طرابلس – لبنان د. ت.، ص١٦٦.

(١٧) ثروت عكاشة، الفن الروماني، المجلد الأول، ج١٠، الهيأة المصرية العامة للكتاب د.ت.، ص١٨٤؛ سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، الطبعة الأولى، ج٢، جدة ١٩٨٥، ص٣٠٩.

(١٨) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨، ص٢٤٨؛ أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٧٧، ص١٥٧.

(19) Xavier de Planhol. The World of Islam. New York 1959. pp. 22–23.

(٢٠) عبدالجبار ناجي، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية، دراسة نقدية معاصرة، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع سنة ١٩٨٠، ص١٤٩.

(٢١) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٨.

(٢٢) سعاد ماهر، العمارة الإسلامية عبر العصور، ص٣١٠؛ EL-khashsab,Op. Cit., p. 20.

(٢٣) فريد شافعي، العمارة العربية في مصر عصر الولاة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤، ص١٠٧؛ سعاد ماهر، العمارة الإسلامية عبر العصور، ص٣١١؛ فوزي عبدالرحمن الفخراني، حمامات الإسكندرية الرومانية، مقال بمجلة كلية الآداب بالإسكندرية، العدد السادس عشر لسنة ١٩٦٣، ص٢١٣؛ Ibrahim (L.),

Yasin (A.), «ATulinid Hammam in Old Cairo», Islamic Archeaological Studies. Vol. 3, 1988, pp. 4-5.

(٢٤) عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص١٣٩.

(٢٥) عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٤٠؛ Michell (g.), Architecture of the Islamic World, New York, 1973, p. 113.

(٢٦) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٦.

(٢٧) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٦.

(٢٨) فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية المجلد الرابع عشر، دار الغد العربي – القاهرة ١٩٨٤، ص٥٣٢.

(٢٩) عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٤٠.

(30) Pauty (E.), Les Hammams Du Caire, Imprimerie De L'institut Francais D'Archeologie orientale, Le Caire 1933, p. 15.

(٣١) سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، ص٣١٩.

(٣٢) عبدالرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ٢٠٠١، ص٢٧٩.

(٣٣) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٨؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٤) المناوي، النزهة الزهية، ص٦١؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٥) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧، ٥٨، ٦١؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٧٩.

(٣٦) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٠.

(٣٧) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٠، ٢٨١.

(٣٨) منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، مشاهد من عراقتها وصور من أفانينها ومأثورها، الطبعة الأولى، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤، ص٢٢٢.

(٣٩) منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، ص٢٥.

(٤٠) الحلة النارية هي التي يشعل تحتها مباشرة وقود الفرن وهي الملاصقة لجدار بيت الحرارة (الجواني).

(٤١) الحلة الدخانية هي التي يسخن ماؤها من بقايا وقود الحلة النارية الملاصقة لها، وتكون أكثر بعداً عن جدار بيت الحرارة.

(٤٢) كانت بقايا الاحتراق من دخان وهواء ساخن ملوث يمر في مجاري فخارية من القميم مروراً بأسفل أرضية بيت الحرارة (الجواني) ومنه إلى الوسطاني حيث تقام المدخنة والتي كانت تعرف في دمشق باسم الفحل، وكانت تقع في معظم الحمَّامات الدمشقية بين جداري البراني والوسطاني الأول. (معلومات شفهية أفادنا بها الحاج / مروان حمامي، مالك حمام البكري في دمشق).

(٤٣) المناوي، النزهة الزهية، ص٤٤.

(٤٤) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٥.

(٤٥) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٣.

(٤٦) المناوي، النزهة الزهية، ص٥٧؛ محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٣.

(٤٧) محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات، ص٢٨٨؛ منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، ص٢٢٨.

(٤٨) منير كيال، الحمامات الدمشقية، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٨٦، ص٢٢٧.

(٤٩) إيكوشار ولوكور، حمامات دمشق، تعريب ممدوح الزركلي ونيه الكواكبي، ج١، دمشق ١٩٨٥، ص٣٢؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٢٩٩؛ محمد سيف النصر أبوالفتوح، الحمامات بمنطقة بين القصرين وخان الخليلي من العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي، بحث ضمن كتاب "الخان الخليلي وما حوله مركز تجاري وحرفي للقاهرة من القرن الثالث عشر إلى القرن العشرين، إشراف سيلفي دونوا وجان شارل ديبول وميشيل توشرير، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٩٩، ص٧٨.

(٥٠) محمد سيف النصر أبوالفتوح، الحمامات بمنطقة بين القصرين وخان الخليلي، ص٩٠، ٩١.

(٥١) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٢٣٠.

(٥٢) قرآن كريم، سورة الحج، جزء من الآية ٧٨.

(٥٣) (٥٣) محمد عبيد عبدالله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج١،مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٧، ص١٣٣–١٣٤.

(٥٤) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٩٨.

(٥٥) مانع القطان، التشريع والفقه الإسلامي تاريخاً ومنهجاً، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٢، ص١٢١.

(٥٦) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٧.

(٥٧) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، ص٢٤٧.

(٥٨) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٣.

(٥٩) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٤.

(٦٠) ما زال هذا التقليد متبعاً في الحمامات الدمشقية والتركية على وجه الخصوص حتى اليوم، وهومن ضمن التقاليد التي ورثها أهل دمشق ومعظم المدن التركية عن سابقيهم في عملية تنظيف الحمَّامات.

(٦١) السدر هوشجر النبق، ومفردها سدرة، وهونوعان: بري لا ينتفع بثمره ولا يصلح ورقه للغسول، ونوع آخر ينموعلى الماء وثمره هوالنبق ويستخدم ورقه كغسول، وكان يعتقد أن الاستحمام به بركة كبيرة. راجع: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرزي، ت. سنة ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، حاشية ٩؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧٠.

(٦٢) الخطمي له نوعان: بستاني وجبلي وأجوده الأصفر الجبلي الناعم وهوبارد رطب فيه تليين وإرخاء وتحليل، وهوملين للأورام ويحلل الدموية ويسكن وجع المفاصل، وإذا غسل به الشعر نعمه، راجع: ابن جزلة (أبوعيسى يحيى علي بن جزلة ت. ٤٩٣هـ)، كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة، مخطوط بدار الكتب المصرية، طب. حليم ٥، ورقة ٥٨٢؛ ابن البيطار (ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسي الملقي، ت. ٤٢١هـ)، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية الشهير بمفردات البيطار، ج١،

طبعة بولاق ١٢٩١هـ، ص٦٣؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٦٠، حاشية ١.

(٦٣) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٨.

(٦٤) الخزامى مفردها خزاماه، وهي عشبة طويلة العيدان طيبة الرائحة، راجع: الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧، حاشية ١٢.

(٦٥) الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٧-٨٨؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤١ - ٢٤٢.

(٦٦) الأتان هوالوقَّاد الذي يزوِّد الأتون بالوقود، راجع: سجع الحمَّام، ص٧، ٨؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧١.

(٦٧) الأفقهسي (شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعي المصري الأفقهسي، ت. ٨٠٨هـ)، كتاب القول التام في آداب دخول الحمام-مخطوط بمكتبة البلدية بالأسكندرية رقم ٧٥٢١/ ٣٨٢٢ ج، ص١.

(٦٨) ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٢.؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص ٨٨.

(٦٩) الباقلاء هي البقول العربية واليمانية التي تؤكل، وهي ملينة ومزاجها رطب بارد وهي مائية أكثر من كل البقول وأشد ترطيباً من الخس والقرع وغذاؤها يسير وهي مسكنة للسعال والعطش، راجع: ابن البيطار، المفردات، ج١، ص١٠٣ - ١٠٤؛ الشيرزي، نهاية الرتبة، ص٨٨.

(٧٠) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧١؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص٢٤٣.

(٧١) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٧٢.

(٧٢) رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني للطباعة - دمشق ٢٠٠٦، ص ٢٢٤.

(٧٣) رؤف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء، ص ٢٢٥.

(٧٤) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦١.

(٧٥) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٤.

(76) Belon (P.), Voyage en Egypte de Pierre Belon Mans 1537, Cairo, 1970, pp. 66-67.

(٧٧) أ. ب. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ج٢، مطبعة أبوالهول-القاهرة د. ت.، ص٧٨.

(٧٨) إيكوشار ولوكور، حمامات دمشق، ج١، ص٤٩-٥٠؛ أكرم العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص١٣٣.

(٧٩) أكرم العلبي، دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين، ص ١٣٤؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٦-١٨.

(٨٠) ابن علوان (علي بن عطية بن علوان الحموي، ت. سنة ٩٣٦هـ)، مصباح الهداية -مخطوط- بمكتبة الأسد بدمشق، رقم ٣٧٦١عام، د. ت.،الورقات ١٣٠-١٣٢.

(٨١) سُمِيَ بذلك لأن حليب النفساء في الأيام الأولى من الوضع -كما يعتقدون- يشكل صمغة مفيدة لغذاء المولود، ولكن قد تصاب النفساء بهروب حليبها فتقوم بعمل "حمام الفسخ" لفسخ الصمغة وتحويلها إلى حليب كامل التكوين. راجع: منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص ٣١٨-٣١٩.

(٨٢) منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص ٣٢٠.

(٨٣) إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون، ص ١٠٧؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ١٦٥؛ سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، ص١٨.

(٨٤) ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان -تاريخ مصر والشام- حققه وكتب له المقدمة والفهارس والحواشي محمد مصطفى، القسم الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤، ص٣٨٠؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص ١٦٥؛ Pauty, Les Hammams du Caire, pp. 3-4.

(٨٥) ابن الحاج، المدخل، ج ٢، ص ١٧٣؛ دي شابرول، دراسة في العادات والتقاليد، ص١١٠؛ Pauty, Op. Cit., p. 5؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٦؛ منير كيال الحمامات الدمشقية، ص٣١٤.

(٨٦) معجم العالم الإسلامي، ص٢٥٨؛ محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٦؛ منير كيال، الحمامات الدمشقية، ص٣١٢.

(٨٧) محمد سيف النصر، منشآت الرعاية الاجتماعية، ص١٦٧.

(٨٨) أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص١٨١؛ سعيد عبدالفاتح عاشور، المجمع المصري في العصر المماليكي، ص٣٧.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية

١. ابن الأخـوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي، ت. سنة ٧٢٩هـ) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦.

٢. ابن البيطار (ضياء الدين عبدالله بن أحمد الأندلسي الملقي، ت. ٤٢١هـ)، الجامع لمفردات الأغذية والأدوية الشهير بمفردات ابن البيطار، ج١، طبعة بولاق ١٢٩١هـ.

٣. ابن جزلة (أبوعيسى يحيى علي بن جزلة ت. ٤٩٣هـ)، كتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان من الأدوية المفردة والمركبة، مخطوط بدار الكتب المصرية، طب. حليم ٥، ورقة ٥٨٢.

٤. ابن الحـاج (الإمام أبوعبدالله محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، ت. سنة ٧٣٧هـ) المدخل، أربعة أجزاء، دار الحديث بالقاهرة، القاهرة ١٩٨١.

٥. ابن طولون الصالحي، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان -تاريخ مصر والشام- حققه وكتب له المقدمة والفهارس والحواشي محمد مصطفى، القسم الثاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٦٤.

٦. ابن علوان (علي بن عطية بن علوان الحموي، ت. سنة ٩٣٦هـ)، مصباح الهداية - مخطوط - بمكتبة الأسد بدمشق، رقم ٣٧٦١عام، د.ت.

٧. ابن منظور (محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت. ٧١١هـ)، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله، ج٢، دار المعارف بالقاهرة، د.ت.

٨. أ. ب. كلوت بك، لمحة عامة إلى مصر، ج٢، مطبعة أبي الهول - القاهرة د. ت..

٩. أحمد رمضان أحمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة

.١٩٧٧
١٠. إدوارد وليم لين، المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن ١٩، ترجمة عدلي طاهر مطبعة الرسالة، القاهرة ١٩٥٥.
١١. الأفقهسي (شهاب الدين أحمد بن العماد الشافعي المصري الأفقهسي، ت. ٨٠٨هـ)، كتاب القول التام في آداب دخول الحمام-مخطوط بمكتبة البلدية في الأسكندرية رقم ٧٥٢١/ ٣٨٢٢ ج.
١٢. الفيروزبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرزي، ت. سنة ٨١٧هـ)، القاموس المحيط، القاهرة ١٩٥٢.
١٣. الشيرزي (الشيخ الإمام عبدالرحمن بن نصر بن عبدالله الشيرزي، ت. سنة ٥٨٩هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت – لبنان ١٩٨١.
١٤. المقريزي (تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي، ت. ٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٢، طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر بيروت، د.ت.
١٥. المناوي (الشيخ عبدالرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين بن يحيى بن محمد المناوي، ت. ١٠٣١هـ)، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، حققه وقدم له عبدالحميد صالح حمدان، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٧.
١٦. إيكوشارد ولوكور، حمامات دمشق، تعريب المهندسين: ممدوح الزركلي ونزيه الكواكبي، ج١، دمشق ١٩٨٥.
١٧. ثروت عكاشة، الفن الروماني، المجلد الأول، ج١٠، الهيأة المصرية العامة للكتاب د.ت.
١٨. ج. دي شابرول، دراسة في عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين (ضمن كتاب وصف مصر)، الطبعة الثانية، ترجمة زهير الشايب، المجلد الأول، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩.
١٩. رؤوف محمد علي الأنصاري، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، مؤسسة الصالحاني للطباعة – دمشق ٢٠٠٦.
٢٠. سعاد ماهر، العمارة الإسلامية على مر العصور، الطبعة الأولى، ج٢، جدة ١٩٨٥.
٢١. سعاد محمد حسن، الحمامات في مصر الإسلامية، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة،

كلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٨٣.
٢٢. عبدالجبار ناجي، المدينة العربية الإسلامية في الدراسات الأجنبية، دراسة نقدية معاصرة، مجلة المورد، المجلد التاسع، العدد الرابع سنة ١٩٨٠.
٢٣. عبدالحميد زيدان، التجميل عند قدماء المصريين، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر لسنة ١٩٦٤-١٩٦٥.
٢٤. عبدالرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨.
٢٥. فاطمة محجوب، الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية المجلد الرابع عشر، دار الغد العربي – القاهرة ١٩٨٤.
٢٦. فريد شافعي، العمارة العربية في مصر عصر الولاة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، الهيأة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤.
٢٧. فوزي عبدالرحمن الفخراني، حمامات الإسكندرية الرومانية، مقال بمجلة كلية الآداب بالإسكندرية، العدد السادس عشر لسنة ١٩٦٣.
٢٨. مانع القطان، التشريع والفقه الإسلامي تاريخاً ومنهجاً، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٢.
٢٩. محمد سيف النصر أبوالفتوح، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية العصر المملوكي، مخطوط رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب-جامعة أسيوط ١٩٨٠.
٣٠. محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٢٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨.
٣١. محمد عبدالستار عثمان، فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية، حول التأثيرات الأوروبية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان ٢٠٠١.
٣٢. محمد عبيد عبدالله الكبيسي، أحكام الوقف في الشريعة الإسلامية، ج١،مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧٧.
٣٣. منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي – مدخل-، منشورات جروس برس، طرابلس – لبنان د. ت.

٣٤. منير كيال، دمشق ياسمينة التاريخ، مشاهد من عراقتها وصور من أفانينها ومأثورها، الطبعة الأولى، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٤.

ثانياً: المراجع الأجنبية

35.Belon (P.), Voyage en Egypte de Pierre Belon Mans 1537, Cairo, 1970.
36.Creswell (K.A.C.), Early Muslim Architecture, Oxforrd 1952.
37.EL-Ahmar, Imprimetie de L'Institue Francais d'Archeologi-Oriental, Cairo 1979.
38.Ibrahim (L.), Yasin (A.), "ATulinid Hammam in Old Cairo", Islamic Archeaological Studies. Vol. 3, 1988.
39.Michell (g.), Architecture of the Islamic World, New York, 1973.
40.Pauty (E.), Les Hammams du Caire, Le Caire 1933.
41.Pauty (E.), Les Hammams Du Caire, Imprimerie De L'institut Francais D'Archeologie orientale, Le Caire 1933.
42.Xavier de Planhol, The World of Islam, New York 1959.

الأشكال:

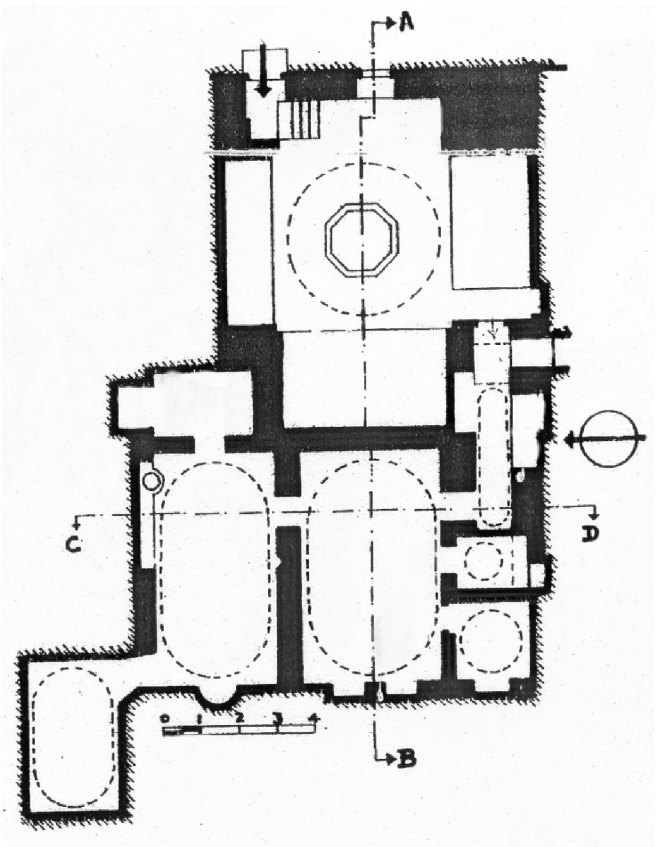

شكل رقم (١) نموذج للحمامات العثمانية في المدن الإسلامية
نقلاً عن: **Ecochard, Op. Cit., p.90.**

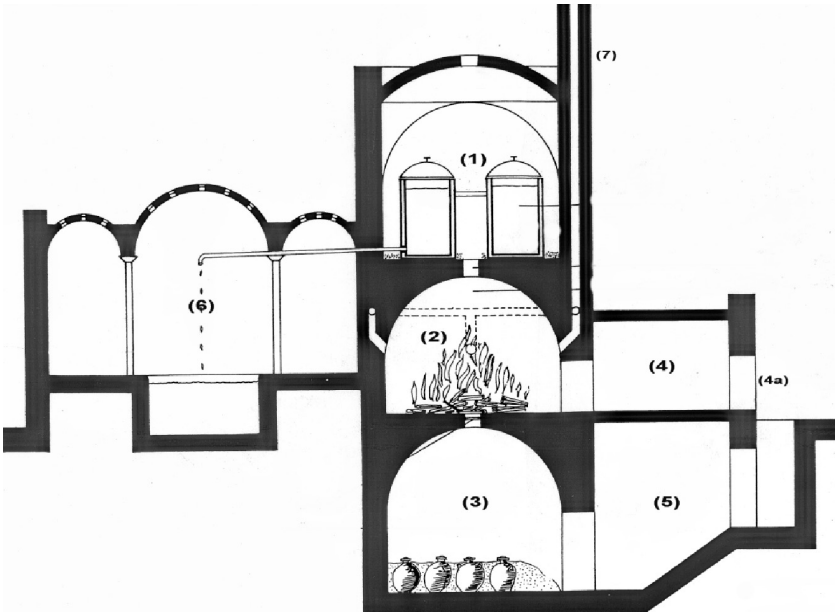

شكل رقم (٢) مقطع رأسي للمستوقد بالحمامات القاهرية.

غرفة الحرارة، وجفنات التسخين. (٢) غرفة الاحتراق. (٣) غرفة تجميع الرماد وبقايا الاحتراق. (٤) غرفة خزين الوقود. (٤a) باب يوصل إلى خارج الحمام. (٥) غرفة سفلية توصل إلى غرفة تجميع الرماد. (٦) وحدات الحمام الساخنة. (٧) المدخنة.

نقلاً عن: محمد سيف النصر أبي الفتوح، الحمامات في منطقة بين القصرين وخان الخليلي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة ١٩٩٩.

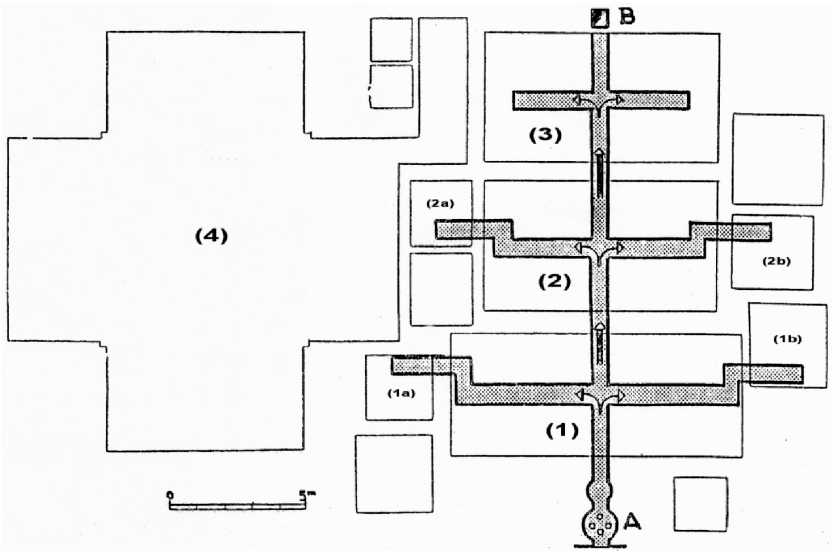

شكل رقم (٣) رسم يوضح ممرات التسخين السفلية بحمامات دمشق.

(A-B) ممر بيت النار، وهوقادم من بيت النار حتى نهاية

قاعة الوسطاني الأول.

قاعة الجواني. (١a)، (١b) مقاصير ملحقة بقاعة الجواني.

قاعة الوسطاني الثاني. (٢a)، (٢b) مقاصير ملحقة بقاعة الوسطاني الثاني.

قاعة الوسطاني الأول. قاعة البراني.

نقلاً عن: إيكوشار، حمامات دمشق، ج١.

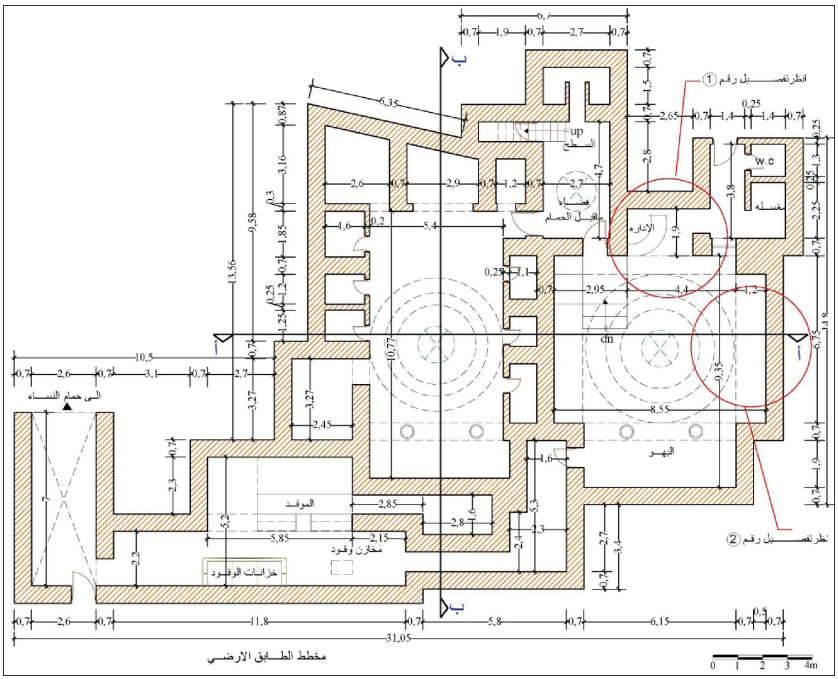

شكل رقم (٤) المسقط الأفقي لحمام السيد سعيد الشروفي.

نقلاً عن شركة ذي شأن الهندسية للمقاولات الإنشائية – كربلاء المقدسة.

اللوحات: جميع اللوحات من تصوير الباحث خلال الزيارات الميدانية لمختلف المدن الإسلامية.

صورة رقم (١) نموذج لحمام دمشقي يوضح القباب التي تغطي قاعات الحمامات.

صورة رقم (٢) قاعة البراني (المنزع اوالمخلع) في أحد الحمامات العثمانية في مدينة نابلس.

صورة رقم (٣) نموذج لأحد الإيوانات المطلة على القاعة الوسطى في المنزع لأحد حمامات طرابلس-لبنان.

صورة رقم (٤) نموذج يوضح التقاء أرجل العقود لتكوين المثلثات الكروية الحاملة للقبة في حمام دمشقي.

صورة رقم (٥) نوافذ مفتوحة في رقبة قبة تعلوالجواني لأحد حمامات الشام.

صورة رقم (٦) نموذج لفتحات الإضاءة (القماري) لإحدى قباب حمامات دمشق.

صورة رقم (٧) نموذج لقاعة الوسطاني في الحمام الدمشقي في العصر العثماني.

صورة رقم (٨) قاعة الجواني لأحد الحمامات العثمانية في الشام.

صورة رقم (٩) قاعة الجواني ابحمامٍ عثماني في مدينة القاهرة.

صورة رقم (١٠) نموذج للمغطس الذي كان يلحق بقاعة الجواني في حمامات العصر العثماني في القاهرة.

صورة رقم (١١) قاعة الجواني لأحد حمامات مدينة قيصري في تركيا.

صورة رقم (١٢) نموذج لمناطق الانتقال والقبة في قاعة الجواني
لأحد حمامات اسطنبول في تركيا.

صورة رقم (١٣) قبتا حمام الشروفي في كربلاء.

صورة رقم (١٤) قاعة المنزع اوالمخلع في حمام الشروفي.

صورة رقم (١٥) قبة قاعة المنزع اوالمخلع في حمام الشروفي.

صورة رقم (١٦) الجانب الشرقي في قاعة الجواني – حمام الشروفي.

صورة رقم (١٧) الجانب الجنوبى لقاعة الجوانى – حمام الشروفى.

صورة رقم (١٨) الجانب الشمالي لقاعة الجواني – حمام الشروفي.

صورة رقم (١٩) الجانب الغربي لقاعة الجواني – حمام الشروفي

صورة رقم (٢١) المغطس الملحق بقاعة الجواني – حمام الشروفي

صورة رقم (٢٠) مقصورة (خلوة) في الركن الجنوبي الشرقي لقاعة الجواني – حمام الشروفي

صورة رقم (٢٢) ممر يتقدم المستوقد الملحق بحمام الشروفي

صورة رقم (٢٣) قاعة البراني (المنزع) حمام البغدادي – كربلاء

صورة رقم (٢٤) إحدى القبتين في قاعة البراني – حمام البغدادي

صورة رقم (٢٥) عقود وأسقف قاعة الوسطاني – حمام البغدادي.

صورة رقم (٢٦) قبة قاعة الوسطاني – حمام البغدادي في كربلاء.